فوبوس

فوبوس

د. فؤاد جمال

رواية

رقم الإيداع: ٢٠٢٢٢/٣٠٢١ ٢٠٢١

تدمك: ١-٥٧-٦٧٩٨-٩٧٧-٩٧٨

الطبعة الأولى: يناير ٢٠٢٢

مراجعة لغوية: حمدي عبد الرازق

تحرير أدبي: الفؤاد للنشر والتوزيع

غلاف وإخراج فني: د. بولا وجيه

الفؤاد للنشر والتوزيع

برج سانت فاتيما – أمام جنينة مول – مدينة نصر

ALFOUAD_PUBLISHING@HOTMAIL.COM

FACEBOOK.COM/FOUADPUBLISHING

شكر خاص.. صالون سالمينا الثقافي

فوبوس

- رواية -

د.فؤاد جمال

الفؤاد للنشر والتوزيع

إهداء.

لكل من تمسك بأنفاسه رغم صعوبة هذه الحياة.

لكل متعبٍ، منهك، يبحث عن الراحة.

لكل من قتلته الحياة بصراعاتها، بسرعتها.

هاني: المسي السيف !

ظهر أمامها، مرتديًا درعه، مستلًا سيفه، مستعدًا لمعركة متوقعة، مد سيفه تجاهها، انتظر لمستها، حاولت تحريك يدها، لكنها ثقيلة، بطيئة، لا تتحرك من بطئها.

ظهر! تقدم نحوها، شيء خفي منعه، قيود مضيئة كبلته، شُد ذراعه، أمسك بقيوده، عضها، زمجر عاليًا، نمت أنيابه، ككلب مسعور فقد السيطرة، شد القيود بأنيابه الحادة، قضمها، تكسرت!

انقض في اتجاههم.

اصطدم وجهه بشيء دفعه للخلف، انقض مرة أخرى، اندفع للخلف مجدداً!

انتشرت أمواج بالهواء.

حاجز خفي من الضوء تكوَّن حولهم، يحميهم، يمنعه من الاقتراب.

زمجر، لَكَم الحاجز، طعنه بذيله، نهشه بأنيابه، بحوافره، حاول تكسيره بكل الطرق.

مازالت تحاول الوصول للسيف.

تشقق الحاجز.

صوت هاني، صدر من تشققات الحاجز، يصرخ!

لم تصل للسيف بعد.

نضجت التشققات، تفرعت، تقترب من تكوين الكسر.

ارتفع صوت الصرخات.

أخرج دميتها، سيبعد يدها عن السيف بأي ثمن.

وجدها محاطة بنفس الحاجز!

حاجز عرفه منذ قديم الأزل، لا يتجرأ على ذكر اسمه.

عاد لتحطيم الحاجز المشقق.

سقط جزء صغير منه! تكونت نافذة صغيرة.

دفع ذيله من خلال النافذة، سيقتلها، يقترب ذيله منها.

طفولة بريئة

هل أحسست يوماً بتلك الفرحة العارمة عندما تجني ثمرة تعبك؟ هل أحسست بالمرارة حين اكتشفت أنك لم تحصد ما شئت؟

لبس هاني أفضل ما لديه، سار في الطريق سريعاً يسبق الخطى، انتظر هذه اللحظة طويلاً، سيثبت ذكاءه أخيراً، وأنه ليس عاقاً أو حملاً زائداً، أنه يستحق الحب كبقية إخوته؛ أمنيته بسيطة، أن يعترف بوجوده أحد، يعطيه الاهتمام الكافي.

ذهب لمدرسته، بحث عن نتيجة تعبه طوال العام، نتيجة استعباده.

"سنة حاسمة".

جملة ترددت كثيرًا على أذنه، سيتلقى الشهادة الابتدائية،

أحب مدرسته بكل من فيها خصوصًا صديق عمره، لم يجد غيره بجانبه، رفيق دربه الوحيد.. عمرو.

وصل، لم يجد النتيجة، الوريقة القبيحة، تقيّم الطلاب، تخبرهم بكل عجرفة من الأفضل، كرهها، أحب مساعدة أصدقائه.

يذكر قول والديه.

"لا تعط أحدًا مجهودك وتعبك يا هاني، لا تشرح لأحد كي تظل الأفضل، هل ساعدك أحدهم حين مرضت واحتجت من يشرح لك ما فاتك؟"

فليكن إذا.

لا مساعدات.

انتظر بعض الوقت، أخبره العامل أنها لن تتأخر، فجلس على سور المدرسة القديم.

لمح بعض أقرانه، دومًا هو على خلاف معهم.

يتعمدون ضربه وإهانته، ويشجعهم المعلمون، كان وقت الراحة ليس إلا دعوة لإشعال فتيل الحرب العالمية الرابعة، بينه وبين هؤلاء.

افتقد العقيد أركان حرب "عمرو"، والكولونيل خالد، والمرتزقة علاء، جنود المشاة خاصته، أمام المليشيا المكونة من سبعة أشخاص، يهزمونهم دومًا.

"حسنًا ما العمل يا قائد إنهم قادمون".

"لا بأس، سأتملقهم حتى تأتى الوريقة البغيضة، وأرحل، اليوم ليس يومًا للقتال، نحن في هدنة".

عجيبة تلك الوريقة، جعلت أعداء البارحة أصدقاء اليوم، إنها قوة الخوف، الجميع ينتظرون، يقضمون أظافرهم، يتلهفون إلى معرفة من الأقوى، ومن سيعود بخيبة الأمل لأهله.

اقترب جسم غريب من عينيه، فاصطدم رأسه بالسور الحديدي، سقط، أغلق عينيه، لا يدري ما أصابه، سمع ضحكات كثيرة متتاليات، ركلات مزقت جانبيه، الخونة! غدروا به.

انتهي الحمقى، فنهض، لا يبالى، تعلو وجهه ابتسامة، ممزوجة بغضب، عينه متورمة، زرقاء، التفت خلفه، وجد العامل وبعض المعلمين ينظرون إليه، يكتمون الضحكات.

العامل: النتيجة أهي، فين الحلاوة؟

توجه إليه، بالكاد يميزه، حجب جفنه مجال إبصاره،

عامل سمج، ذو ضحكة غبية، تكشف أسنانه القذرة، لو دخل ميكروب بفمه لمات من العفونة، عيناه جاحظتان، مرعبتان، تحدق في أي مبلغ مالي.

اتجه للوح خشبي قديم، أكل العفن نصفه تقريباً.

○●○

امتلأت عيناه بالدموع، اخترقت صدرة آلاف السهام النارية، لم يشعر بحياته بمثل هذا الألم، أسند ظهره للحائط، انزلق تعبًا، أمسك برأسه، لا يدرى كيف سيخبر والديه!

العامل: ألف مبروك النجاح، فين الحلاوة بقى؟!

نجاح! أي نجاح هذا؟ إلا تعلم أنه فاشل؟ لا قيمة لنجاح كهذا، مصيره العمل في إحدى الورش الفنية، كما أخبره والده دائمًا، صبي ميكانيكي.

العامل: فين الحلاوة؟!

لن يكف حتى يجد مراده.

أدرك سبب ضربه، تقييمه أفضل منهم.

دس يده في جيبه، أخرج بعض الجنيهات، دفعها بيده، فصمت العامل أخيرًا.

كيف يخبر أهله؟ فكر إلا يعود للمنزل، لكن إلى أين؟

احتل المركز الثاني، واحتل صديق عمره عمرو المركز الأول، بفارق درجة واحدة، تمنى لو ابتلعته الأرض.

توقف أمام باب منزله.

دارت بخلده فكرة، ماذا لو أتت سفينة من الفضاء وابتلعته، وافق أن يصبح فأرًا للتجارب شرط ألا يكون أحد أفراد تلك الأسرة البغيضة، لم يُرد تلك العائلة، يكفي أن تصطدم به عربة، يريح العالم والأسرة من فشله، تنتهي الحرب العالمية، تمحو ضحكة العامل السمج، تخفت ضحكات المعلمين، وينتهى العبث المسمى بالحياة.

دخل المنزل، وجد والديه ينتظران، معهما جميع أخوته، حضروا جميعًا لمحاكمته، انتظم الحضور في صف واحد بساحة المحكمة، القضاة الاثنان، الحاجب الصغير يصرخ باسم قضيته مرارًا، محكمة غير عادلة، لا يوجد بها محامٍ للدفاع،

جميع الشهود شهود زور، تمت رشوتهم بالفعل، بقايا طعام الرشوة مازال على الطاولة.

لم يأكل شيئًا منذ الصباح، شعر بألم جوعه فجأة.

ارتسمت على وجه أبيه علامات الحيرة، لابد أنه لاحظ تورم عينه، باغته سائلًا عن الوريقة.

وقف صامتًا، أخرجها من جيبه، مد يده لأبيه، بينما ينظر للأرض أسفله.

التقطها أبوه مسرعًا.

الوالد: طالع التاني يا معفن، يا ساقط، بفرق درجة كمان، درجة مش عارف تجيبها.

خطفت أمه الوريقة، تمعنت فيها.

الأم: اللي بتقول عليه صاحبك هو الأول يا حزين.

علت ضحكات الأم، أطلقت الراية ليبدأ ماراثون الضحك العائلي، أصوات مزعجة، غريبة، انتابه ألم غريب في رأسه، دارت به الأرض، ظن أن الله استجاب لدعائه.

أخذت عائلته تتقاذف الوريقة الملعونة فيما بينهم، كالحلوى.

الأخت: ناقص عشر درجات ونص يا حزين.

الوالد: أبو خمسة ونص وخمسة، أنا قلت الواد دا مش نافع في حاجة أحسن له يتعلم صنعة، أنا بكرة هاكلم الميكانيكي.

الجميع يتغنون كمجموعة من التتار انتصرت على أعدائها للتو، تتراقص فوق أطلال جثث المحاربين الشجعان، ألقوا بحيواتهم ليغدر بهم التتار بحرب لا تخصهم، يرددون جميعا: "خمسة ونص وخمسة"،

ككومة من القش، ضربتها صاعقة، اشتعلت.

فرت من عينيه قطرات ممزوجة بالدماء، ورم عينه ينزف، ركض، احتمي بغرفته المكتظة بها الأغراض تلالا، ركل الأغراض يمينًا ويسارًا بحثًا عن طريق بينهم، ركل أحد اختراعاته، جثي ليتفحصه.

شغوفًا بالاختراعات، دومًا يأتي بالجديد.

عصا ولوح خشبي صغير في حجم هاتفه الجوال، قطع باللوح دائرة بحجم كاميرة الهاتف، ثبت اللوح الخشبي بمسامير بالعصا، به بعض الحلقات المطاطية.

سيلفى ستيك، يلتقط بها صورًا أفضل، لا يملك رفاهية شرائه بثمن باهظ.

اصطدم ببضع الأوراق، خططه الناجحة في الحرب العالمية الرابعة، سرقت عيناه إحدى الأوراق، أمسك بها، تذكرها جيدًا، لأول مرة يضع احتمالية انضمام أحد المعلمين لصفوف الأعداء، يغدر به أصدقاؤه الوحيدون.

o●o

شوقي

انتفض فجأة كمن صعق بتيار كهربائي، صرخ.

هاني: كفاية ذكريات، اسكت مش ناقصة.

صرخ بعقله، وقف أمامه.! لا يراه أحد سواه، يناديه بشوقي.

هاني: انت مفكر انك كده بتهديني.! انت بتفكرني بكل مصيبة عديت فيها وكنت لوحدي.! بتأكدلي انى مش مهم للناس دي، فاكرين طالما بتاكل وتشرب وتنام يبقى انت ملك، مافيش منك اتنين.! دول حتى ماسألونيش على عيني.! حتى الأكل.!

اشار شوقي بيديه لجميع اختراعات هاني، ملأت الغرفة، ثم أشار لخططه، ذكَّره أنها ليست المرة الأولي.! إنه يستطيع حل هذا الأمر.

دخلت إحدى أخواته الغرفة تغنى: "خمسة ونص وخمسة"، بحثت في أغراضها، جلست على أحد السرائر، اختفي شوقي، دخل بقيتهم، ارتفع صوت الغناء، نظروا إليه بدونية، لفظت الوريقة ترتيبه، الثاني، جميعهم، الأول، لا مكان للخاسر في هذه الحياة.

قرر الذهاب لمكانه المفضل، معزله، زنزانته التي عشقها، سطح منزله.

بالرغم من وحدته أحب حريته هنا، كطير يحلق عاليا، يستنشق النسيم البارد يحلق في سماء عالية حفظ نجومها.

جلس على السور، كعادته.

شوقي: اوعى تعمل اللي بتفكر فيه.

هاني: ليه؟

شوقي: كفاية انه حرام.

أخذ نفسًا عميقًا، مضطربًا.

هاني: أنا فاشل.! صاحب عمرى كان بيلهينى عشان ماذاكرش ويغلبنى.

شوقي: عشان خاطري يا هاني بلاش.

هاني: ماحدش عاملنى كويس غيرك يا شوقي، ابقى افتكرني، احكى عني لصاحبك الجديد اللى هتظهر له بعدى، كان نفسى أسيب بصمة ورايا، حاجة تساعد الناس وتفكرهم بهاني، الوحيد.

وقف على السور، مد يديه، استعد للطيران.

صرخ شوقي.! تعالى نداؤه، دون جدوى.

هاني: هتوحشنى.

لا يستطيع سماعه أحد سوى هاني، سقط من فوق السور، حرك يديه في الهواء، كعصفور صغير يتعلم الطيران، يتمتم بأحد أغانيه المفضلة، مبتسمًا للرياح، تداعب وجهه، يتطاير ريشه، يُحيي كل طابق يمر به بيده، مبتسما، لمح عائلة اجتمعت على مائدة الطعام، الصغير، يطعمه أبوه.!

هاني: يا محظوظ

ضحك للطفل، تمتم: خمسة ونص وخمسة.

اصطدم وجهه.

○●○

اصطدم وجهه بالمخدة.

نفسه مكتوم، ظن أحدهم يخنقه.

صرح لها بحبه البارحة، قبل أن يعود بها لمنزله من الملهى الليلى.

تحاول قتله لتسرقه.!

اختنق، شعر بألم اصطدامه من الطابق الخامس، استجمع قواه، صرخ عاليا، نهض، لم يجد أحدًا.

ضحك بحزن.

هاني: ياريتك كنت سبتنى أنط يومها يا شوقي.

التفت جانبه، سريره مرتب، بحث في أرجاء المنزل عن نهى، أين ذهبت حبيبته؟ وعدها بالزواج، دققت في منزله البارحة، أعجبها، تعجبت من فراشه، أشبه بسفينة قراصنة، أعجبتها قوته، صلابته، لم يصدر صوتًا واحدًا أثناء معركتهم الحامية ليلة البارحة.

أين اختفت؟ ركض إلى بنطاله، امتلأ بالأتربة التي بلغ سمكها عدة سنتيمترات، شقة متواضعة، الوحيدة التي استطاع تحمل نفقاتها، هربًا من أهله المتعجرفين.

تآكل نصف الحائط، النصف الآخر ذو لون باهت، قديم، مهترئ، يتقشر إذا لمسته، الجدران دائمة البكاء، مياه غير معلومة المصدر، لجدار لا يشاركه فيه أيٌّ من جيرانه، المرحاض أشبه بالمراحيض العمومية.

صاحب المنزل جشع، يخترع الفواتير الزائدة كي ينهبه، رغم أنه طبيب، مثله، اهتم بالسرير، مملكته، لم يتركها كثيرا.

اهتم باختراع العصر "الإنترنت" ملاذه الأخير، يأكل يومه، لكنه يُسكت شوقي العنيد يشغله ببعض الألعاب، المحادثات الطويلة، لعله يجد ضالته، يقع على ناصية شارع رئيسي به الكثير من الملاهي الليلية، مبتغاه الآن، لعله يجد ضالته، شريكته، أليست المعركة أثمن معانى الحب؟! كيف يصبح من يمارسها قبيحًا كما صوروا لنا؟! بحث عن بعض الحب لتتغذى عليه روحه، قلبه جائع لدرجة الجنون.

في هذا العالم، لا خداع، لا ادعاء للفضيلة، جميعنا مخطئون، على عكس العالم الآخر، الجميع خداعون، كاذبون، لا يرون أخطاءهم.

يحتاج هذا العالم شيئين رئيسيين: الأول هو السرية، جميع المترددبن ذوو مراتب عالية في المجتمع، الكثيرون ممن يدعون الفضيلة، لو عُلم أمر أحدهم لسقط كالنيزك من السماء.

الثاني هو الخوف، الجميع خائفون، الجميع لديهم الكثير ليفقدوه.

هنا تحققت المساواة بين الرجل و المرأة، لو فُضح أمرهم، فقدوا جميعًا كل ما عاشوا من أجله.

قرر اتباع هذا العالم، بسنواته الأخيرة بكلية الطب، يذهب صباحًا لدوامه بالجامعة مع أولئك الأساتذة المتغطرسين، يكرهون من يجادلهم، ليس لأنهم لًا يحبون الجدال، بل لضعف علتهم، كرههم جميعا، غلبتهم اللعنة، الوريقة، يحفظون ما يملى عليهم من معلومات دون تفكير، اعتادوا البلاهة، إلغاء زينتهم الوحيدة، العقل، يدرّسون ما هو مهم لتلك الوريقة فقط، كأنهم لن يحتاجوا الباقية أبدا.! الوريقة محور حيواتهم، الأوائل دوما، إن وجد الأفضل، الأذكى، حطموه.! بفضل تلك الوريقة، ترتيبهم الأحمق، لم يمر عام دون تحطيمه من أحد أساتذته، لم يرد إحراجهم، أراد الفهم فقط، رفض بكل أعماقه، بكل قواه، ذلك الطابع محفوظ القوالب، الإصابة في تلك اللعنة، قوة الوريقة، تجاهلها.

بحث عن شرح بالشبكة العنكبوتية، السحرية، يجد بها ما يريده بكل لغات العالم.

كره الأطباء، التحق بالكلية ليخرس أهله، ليصمت اللحن الحزين "خمسة ونص وخمسة"

يعود مجهدًا بعد دوامه ليضع القليل من الطعام البارد، الباهت، كحياته، يلقيه في فمه بنهم، كعربات ضخمة مليئة بالقمامة تفرغ محتوياتها بمكب النفايات،

يذهب لعمله لدى أحد الأساتذة المتغطرسين في عيادته الخاصة، علم قيمته، أراد تحطيمه كي لا يهزمه.

يعود ليلًا يتابع بحثه عن ضالته في الملاهي الليلية أو على الشبكة العنكبوتية.

○●○

ذهب هاني مسرعًا إلى بنطاله يتفقد محفظته وجدها نقصت.

هاني: غبية، لو قلتِ لى كنت اديتك كل اللى في المحفظة، بس أمينة أخدت أجرتها بس.

ابتسم ليخفي بداخله المرارة، ذهب للحمام، وقف أمام مرآته انعدمت الرؤية بها، حاول ترتيب شعره، أبى الثبات، أعلن تمرده. أمال رأسه للأسفل، نظر للمياه المتراكمة في الحوض، ألقى بها في معدته فجأة، هربت دموعه.! أثار الثمالة، اختلطت محتويات معدته بدموعه.

شوقي: نفس الحلم؟!

هاني: آه، ليه ماسبتنيش انط ساعتها.

أشار شوقي بإصبعه لأحد أطراف الغرفة، كثير من الزجاجات ملقاة.

هاني: آه، انت ماشفتهاش الصبح؟!

أومأ بالإيجاب، اغتاظ هاني، لمَ لم يوقظه.

شوقي: ولا هاصحيك انت عارف إن اللى بتعمله ده غلط وانا عمرى ما هاساعدك عليه.

هاني: غلط.!، قال يعنى لما مشيت صح نفع، ولا نسيت؟

أمسك شوقي برأسه، صرخ عاليًا من الألم.!

هاني: الصداع بتاع كل يوم، انت لسه مااتعودتش؟!

تناول أدوية مسكنة، شرب معها فنجان قهوة، ممزوجًا بخمر.!

هاني: ورينى بقى مين هيكسب في الخناقة دى.

ضحك هاني في هستيريا، بجنون، خرج متوجهًا لدوامه بالجامعة.

o●o

خرج يستمع لموسيقاه المفضلة، يحاول إخراس الصوت اللعين، اللحن.

عشق الموسيقى لكن كره الأغاني، شعر صوت المغنى دخيلا، غريبًا على الأنغام السمائية، يعكر صفوها ليجعلها لحنًا للكراهية، للعدوان.

لم تخذله يومًا، يتمايل مع أنغامها، يرقص مع محبوبته، تحت قطرات الأمطار، غطت وجوههم لتختلط بدموعهم، لا يفرق بينهم أحد.

لم يشعر بزحام الطرق، زحام مستعمرة من النمل، تجمعت على بقايا حشرة ميتة، لا يشعر بطول الطريق، كملعب كرة قدم ضخم وهو أمهر اللاعبين به، معه الكرة، يراوغ المارة بمهارة عالية، اتحد بالكرة لتصبح جزءًا من جسده، تتراقص

معه على الأنغام، يركض سريعا، كصاعقة ضربت السماء، شقت طريقها، وصلت للحارس، سدد قذيفته، أحرز الهدف.

وصل الجامعة، دخل المكان المخصص في المستشفى الجامعي للطلاب، دلف خلفه طبيب معلم.

دكتور عبد الهادي، لئيم، يستعبده في عيادته الخاصة مقابل مبلغ زهيد كنوع من أنواع الاستعباد في العصر الحديث، نتفاخر أننا محونا العبودية لكن الواقع أننا غيرنا شكلها، استبدلنا اللقب بألقاب أخرى كثيرة.

لم يعره اهتماما، سبح في بحار خياله الواسعة، فكر في مدى براعته، كلاعب كرة قدم، يراوغ كنمر سريع.

أصبح ضابطًا بالقوات الخاصة بالجيش، يخطط للانقضاض على تجمع إرهابي بالصحراء، بمفرده، يقتلهم جميعا، يفتك بهم، يحرر أصدقاءه الأسرى.

قطع خياله صوت دكتور عبد الهادي، رن كلامه باذنه كانه منبه.

دكتور عبد الهادي: لازم يا ولاد تكشفوا على المريض كشف كامل يعنى لما يجي لك مريض بيشتكى من بطنه ماتكتفيش بالكشف على البطن وبس، لا انت تكشف على كل حاجة، حتى كشف الأعصاب، والنفسية كمان.

حاول كتم ضحكاته، فشل، ضرب بمفهوم التخصص عرض الحائط، تذكر ما يحدث في عيادته الخاصة.

لا يفحص المريض من الأساس، يترك تلك المهام لهاني واثنين من أصدقائه، يستعبدهم ليفحصوا المرضى بدلًا منه، يحضرون تفاصيل المريض، نتائج الفحص، وتشخيصهم لغرفة خاصة يوجد بها دكتور عبد الهادي، لا يحق لأحد دخولها، سوى هاني وزميليه، يخط بقلمه رموزًا لا تفهم، "الروشتة"، ليغادر المريض، دون رؤية وجهه حتى.

قطع تفكيره منبه آخر.

دكتور عبد الهادي: النظرة على وش العيان مهمة جدا، فيه أمراض بتعرفها من شكل وشه بس.

قص بطولاته، كيف شخّص العديد من الأمراض بنظرته الثاقبة، يرفع نظارته، الشبيهة بالعدسات المكبرة، ينظر من أسفلها إلى وجه المريض، فيعرف ما به.

زاد ضحك هاني، تذكر حديثه مع صديق له طبيب يعمل في إحدى الدول المتقدمة، أخبره أن طريقة الفحص مختلفة تماما، توزع أوراق على المرضى يضعون علامه صواب أمام الأعراض التي يشعرون بها، بعض الأسئلة عن ماضيهم المرضى، تُجمع هذه الأوراق، تُعرض على فريق أطباء المستشفى، يتشاورون في كيفيه علاجه، لو وجدت أكثر من طريقة، يستدعي الأطباء المريض، يخبرونه، يعملون كفريق واحد لا يوجد بينهم أسرار في العلم، لا يوجد بينهم تنافس، لا توجد وريقة تسمى النتيجة.

لاحظ دكتور عبد الهادي ضحك هاني، حذره، صمت، عاد لخياله.

دكتور عبد الهادي: بصوا يا ولاد لما تكبروا كده وتفتحوا عيادات إن شاء الله يعني وتشتغلوا كده ماتغلطوش غلطتنا بلاش تكتبوا للناس خوافض للحرارة؛ أصل ارتفاع الحرارة ده آلية دفاعية عند الإنسان البكتريا بتعيش في درجة حرارة جسمنا العادية من غير مشاكل، فالجسم بيرفع من درجة حرارته علشان يقاومها ويقتلها تروح انت بذكائك تديله خافض للحرارة و تقللها، طب ليه ما هي هتساعدك.

غضب، رأي بعينيه وصفات دكتور عبد الهادي الطبية مليئة بخوافض الحرارة، معلومة صحيحة، لكنها غير كاملة، تغافل عن جزء من معلوماته.

هاني: طب يا دكتور، مش احنا كده كده هنديله مضاد حيوى قوى هيقتل البكتريا لوحده أكيد مش هاستنى الحرارة تموتها يعني، وإلا ممكن تعمل مضاعفات خطيرة، وكمان ممكن ماتموتهاش أصلا، والحرارة العالية بيكون معاها دايما تكسير في الجسم والمريض بيبقى تعبان ونايم اليوم كله، وفيه ناس كتير ماتستحملش تنام يوم ولا يومين من غير شغل، مش هيلاقوا ياكلوا، يبقى ليه العذاب ده؟! وليه أسيبه تعبان كده، حتى المريض نفسه هيفكرني مش عارف أعالجه.

ظهر ذهول دكتور عبد الهادي للجميع، عقد حاجبه غاضبًا.

دكتور عبد الهادي: طب قل لي كده إيه الأعراض الجانبية للتيتراسيكلين يا دكتور؟

تذكر كتبه، ذلك الدواء أعراضه الجانبية تفوق الصفحتين لوحده.

هاني: هو اتسحب من السوق وبطلنا نستخدمه أصلًا عشان أعراضه الجانبية كتير جدًّا وفيه حاجات أحسن منه دلوقتى.

ضحك، نظر من أسفل عدساته المكبرة.

دكتور عبد الهادي: لازم تعرفه برضه يا دكتور، دى ثوابت الطب.

رد هاني بغضب، كاد يترك المحاضرة.

هاني: لا مش فاكرهم كلهم أكيد دول صفحتين كاملين.

دكتور عبد الهادي: يبقى تسمع وانت ساكت، وأحسن لك تحوّل يا دكتور، انت ماعندكش الحس الطبي، هتموت ناس كتير بسببك، اتفضل يلا ماتكملش معانا المحاضرة.

نظر للدكتور مطولا، انصرف، فهم غايته، تذكر عندما توفى أحد المرضى في عيادته بسبب خطأ في عملية أجراها بنفسه، فحصه هاني، أشار عليه بنوع العملية، كالعادة، أخبر المريض بالعملية كأنها فكرته.

ضحك في وجهه، خرج فرحا، تمتم بحسرة "خمسة ونص وخمسة"، تملكه الغضب بالكامل، قرر إخراج بعض من هذا الغضب كما اعتاد، صالة الألعاب الرياضية، مارس بعضًا من التمارين عقابا لجسده، تهدئة للأعصاب المحترقة غيظا، كاد يمزق حقيبة الملاكمة.

مازال يشتعل غضبا، يحتاج لشيء آخر يهدئه، تذكر تطبيقًا وجده بالصدفة أتاح له التحدث مع غرباء دون أن تعرفهم، أو يعرفوك، دفعه فضوله لتفقده، نافذة أخرى ذلك العالم، نافذة رقمية بها العديد من المزايا.

شوقي: بلاش، دا بحر كبير هتغرق فيه.

ضحك، لم يلتفت حتي.

هاني: أنا أصلًا غرقان وده طوق النجاة.

أخرج هاتفه غير مبالٍ بصراخ شوقي، أخبره أنه يجري خلف وهم، لن يجد ضالته هنا، أخبره أن ذلك العالم ملئ بقذارة، اغتاظ، أمسك ملابسه،

هاني: على الأقل الناس دى مش بتمثل عليَّ، مش بتضحك على بحبها وتدبسنى، بيسلموا الى نفسهم ببلاش، مش هيخدعونى عشان فلوس، زيهم.

كتب شيئا، لم يره شوقي، ضغط إرسال.

هاني: يمكن تطلع مطيعة وكويسة، دا معنى السادية، على الأقل هتسمع كلامى، مش زي اللى عاملين نفسهم محترمين، وهما بتوع فلوس، مايفرقوش عن الرقاصات حاجة.

o●o

ترك هاتفه متصلًا بالشبكة العنكبوتية، ذهب في طريقه للعيادة، منتظرًا ردًّا من إحدى المجهولات، تحرك متباطئا، لا يريد الذهاب للعيادة، كرهها.

مرغم هو على منافقته طوال الوقت، عرف سبب شهرته، امتهن التمثيل، لا الطب، ماهر في الكذب، في خداع المرضي بأرق وأجمل الكلمات.

وصل العيادة، جلس في مكانه في غرفة الفحص، تفقد هاتفه للمرة الأخيرة، تمسك به جيدا، كطفل صغير تشبث بيد أمه.

تفقده كثيرا، لعله يجد رسالة من إحدى المجهولات، كالعادة لم يجد مبتغاه، ظل هاتفه صامتا.

قاطعه صوت الممرض، أخبره بقدوم المريض التالي، له قصة خاصة مع هاني، مريض بقرحة بالمعدة عاد مرة أخرى للمتابعة بعد أن أعطاه دكتور عبد الهادي الدواء المعتاد للقرحة، شخّصه هاني بصعوبة، بعد عناء.

طلب دكتور عبد الهادي منظارًا، علم هاني أنه رجل بسيط، لا يملك ثمن المنظار، بدا أنه اقترض كي يدفع ثمن الكشف المبالغ به، أراد أن يجنبه تلك الأتعاب غير الضرورية، تذكر اختبارًا تعلمه في الشبكة العنكبوتية، اختبر به المريض، تأكد أنها قرحة، أخبر دكتور عبد الهادي، وتولى المسؤولية الكاملة عن هذا التشخيص.

اغتاظ، عاقب هاني بالخصم، رغم ارتياح المريض بعد الدواء.

هاني: حج سيد، أخبارك إيه؟ العلاج جاب نتيجة كويسة معاك؟!

الحج سيد: والله يا دكتور مش عارف اقول لك إيه العلاج زى السحر ريحنى خالص، أسبوعين بس، بعد كده بقيت بارجع تانى، مجرد ما آخد الدوا أرجعه على طول.

هاني: انت بتلخبط في المواعيد ولا إيه يا حج سيد؟

أومأ الحج بالإيجاب، أخرج الدواء من شنطة بلاستيكية، أعطاه لهاني، نظر للجرعات، أحصى ما فرغ من العلبة، كان غير منتظم في مواعيده، أخذ من شريط ٣ أقراص وشريط آخر فارغ، الشريط ٨ أقراص، أخذ ١١ قرصًا، جرعة الدواء مرة يوميا، الحج أخذ ١١ يومًا فقط، مضي أسبوعان.

الحج سيد: ماعلش يابنى بانسى، انت عارف السن بقى.

تعجب هاني، سأله: إلا يوجد أحد معه ليذكره، أجاب بالنفي.!

بدأت عينا الحج يغمرهما بحر من الأمواج المتضاربة، أما هاني فغمرت جسده رعشة غريبة، كأنه أصبح في القطب الشمالي، بدأ جسده يتجمد، فقد النطق، السمع، تجمد الزمن عند هذه اللحظة.

أهذا مصيره؟! قرحة بسيطة تقتله، فقط لأنه وحيد، مثله،

لن يترك رفيقه، لابد من حل آخر، أراد تجنب العملية، عمليات القرح معقدة تحتاج للمتابعة الكثيرة، المكملات الغذائية مدى الحياة، لأن أساسها إما استئصال المعدة إن كانت القرحة في المعدة أو جزء منها، عملية كرهها طوال عمره رغم أنها تحمل أفضل النتائج، قطع العصب الحائر المغذى للمعدة

والاثني عشر وباقي الأمعاء، يقطع قرب نهايته، لكنه عصب مهم جدا، يغذى معظم أعضاء الجسد، لذلك كرهها جدًّا.

دخل للدكتور عبد الهادي مكتبه يطلعه على مستجدات الحج سيد، انهال عليه بالسب، كالعادة،

قرارته تفتقر للإبداع، تقليدية، نفس قراره السابق، لابد من منظار للمعدة.

عاد للحج سيد بالقرار.

الحج سيد: أنا جاي لك انت يا ابنى مش لعبد الهادي.

أخبره أن قرحة المعدة أساسها أن أحماض المعدة كثرت، يجب تقليلها، أي أكل أو شرب يزيد الأحماض، حتى الدواء، بعد البلع مباشرة يزيد الأحماض إلى أن يُهضم ثم يبدأ يقللها، الحج لا يهضمه، قرر ترك فرصة للمعدة تهدأ، يوقف أكل وشرب أو أي شئ يدخل معدته، حتى البرشام، لمدة ٤ أيام بدون أي شئ يزيد الحموضة، يستبدل بأكله محاليل، ثم يبدأ يعود للأدوية، كما وصف له دواء مضادًا للقيء زيادة قبل دواء الحموضة بربع ساعة، بعد أول ٤ أيام، عرض عليه توفير ممرض لتركيب المحاليل، بدون تكلفة، عرض أيضًا ضرورة تذكره للمواعيد، سيذكره بنفسه أيضًا إذا أراد.!

ضحك الحج سيد بعد أن نسي وجهه معني الابتسامة.

الحج سيد: كتر خيرك يا ابنى هاتصرف أنا في التمريض، ربنا يسهل وهافتكر مش عاوز اتعبك معايا أكتر من كده يا ابنى كفاية انك بعدتنى عن العمليات، ربنا يرزقك من أوسع أبوابه يا ابنى.

تعحب من رد الحج، لم يفعل شيئًا سوى عمله الذي يتقاضي عليه أجره.! لكن الحج أخبره أنه ذكي، أمين، تلك صفات نادرة.!

فؤجئ من رد الحج سيد، صمت برهة، أعطاه التعليمات، ودعه منتظرًا زيارته بعد ١٠ أيام لمتابعته.

خرج الحج، عاد هاني لتفقد هاتفه، دق قلبه عاليا، مفاجأة تنتظره.

"NEW ANNONYMOUS MESSAGE RECIVED" ظهرت تلك الرسالة على شاشة هاتفه.

اعتاد التحدث باللغة الإنجليزية، اعتاد قراءتها، كره اللغة العربية.

وقف مذهولا، ثابتا، باسم الثغر، كطفل صغير وجد لعبة جديدة.

قطع شروده صوت الممرض.

الممرض: دكتور هاني انا مروح تحتاج مني حاجة؟!

أعد أغراضه، هم بالرحيل من ذلك المكان القذر متمسكًا بهاتفه جيدا، يعصره بيديه.

قطع شروده صوت عربة مسرعة، يليها بعض من السباب، كادت تصدمه.

وصل للمترو، ذهب للعربة الأخيرة، لم يجد مكانًا للجلوس، ألقي بحقيبته التي علقها على ظهره، بها كل ممتلكاته تقريبا، أسند ظهره على جانب القطار، أخذه التفكير لبحار بعيدة.

شوقي: هاني، انت لسه متردد صح؟! قلت لك بلاش، ماتفتحش الرسالة أحسن.

نظر إليه هاني بعين نصف مغلقة.

هاني: اسكت يا شوقي، اسكت شوية.

شوقي: بس يا هاني انت عارف ده معناه إيه؟! انت عارف انت هتعمل إيه؟!

ظل يثرثر، يحدق في هاتفه، دون رؤية الرسالة.

توقف المترو، دخلت من باب العربة، أهي؟!

دق قلبه كأنه في سباق عَدْو يسابق عدوًا لا يعرفه، طالب قلبه الهروب من سجنه العظمى.

إنها ضالته، كطفل تائه وجد أمه، نسى هاتفه، نظر لفتاته الجميلة، الرائعة، عيناها ضيقتان، إذا ابتسمت غابت عيناها كشمس تغيب معها الحياة، يحث نسيم ضحكاتها أزهار وجهه للتفتح، عشق عينيها، ضحكتها، وجودها فقط يجعله كطفل، تعود إليه قوته.

همت بالمغادرة، شعر بضيق، حاول خطف عينيها، التقت عيناهما لحظة توقف عندها الزمن، قصت فيها عيناهما ما أرادا قوله.

أخبرها كم اشتاق لها في غيابها، ترد عليه عيناها باشتياق ممزوج ببرود وتجاهل، تحاول مقاومة اشتياقها.

هربت عيناها كقط صغير هارب من مفترسه، تجاهلته، تظاهرت أنها لم تلحظه.

اعتصر قلبه ألما، ضاق به سجنه، كاد ينفجر، كأن جبالًا تضغط على صدره.

أخرج هاتفه، ضغط على الشاشة، أخذ نفسًا عميقًا، ضغط إرسال، لم تصل.

تبًّا لذلك الحظر اللعين، أراد محادثتها للمرة الأخيرة فقط.!

همس.

هاني: ليه يا فريدة، ليه؟

أصابعه تتحرك ببطء، فتح تلك الرسالة المجهولة.

كاد يختنق، تسارعت أنفاسه، كمضخة للهواء الساخن، قرأ الرسالة.

مجهول: هاى، أنا سارة وانت؟

عزم أن يصب حمم غضبه على المجهولة.

إنه طلبها، إنه عشقها.

أشفق عليها، اكتفى فقط برد بسيط.

هاني: هاى، أنا هاني.

صمت، وصل المترو، خرج متباطئا، يعطى فرصة لفريدة كي تسبقه.

قطع هاتفه الصمت، أخرجه.

سارة: انت كام سنة؟

هاني: ٢٤ و انتِ؟

سارة: ١٩.

صمت، ماذا يريد منها؟! لا يعلم، إنه غاضب، فقط غاضب، ربما يجد ضالته.

هاني: بصى أنا ماباحبش اللف الكتير، أنا هاني، دكتور، بادور على بنت نرتبط بس تكون متفتحة شوية يعنى مش عاوز ارتباط من بتاع عيال ثانوي ده مافهوش حاجات الكبار، بس أهم حاجة تكون بيننا مشاعر وحب احنا مش حيوانات، كمان لو ارتحنا وكملنا من غير مشاكل ماعنديش مانع اتقدم لها، موافقة؟

سارة: طبعا، وأنا هاعوز إيه أكتر من كده، بس أنا خايفة نعمل حاجة وبعدين مانتوفقش، أنا هاتفضح.

هاني: لا ماتخافيش أنا هاعرف أحافظ عليك وماحدش هيعرف خالص.

سيفرغ جام غضبه عليها، سيجعلها تنسيه فريدة، سيصلح تلك الحفرة السوداء داخل قلبه.

صعد السلم بنشاط غير معتاد، ألقى ملابسه في جميع أنحاء الغرفة، كأنه سباق، جلس على فراشه أمسك هاتفه.

هاني: جاهزة؟

مجهول: جاهزة يا قلبي.

إحدى أمانيه حققها اليوم، موسيقى تداعب أذنيه في الصباح الباكر، يحتسى قهوته أمام شاطئ البحر، الرياح تداعب أنفاسه تترك رائحة السرور، رائحة البحر، رائحة أمواجه.

تجاوز الساعتين، مازالت حربه الخاصة مستمرة، تسارعت أنفاسه،

مجهول: يخرب بيتك انت طلعت مصيبة، أنا كنت باتنفض طول الوقت.

هاني: كام مرة؟

مجهول: باقول لك طول الوقت، يمكن ٥ مرات ولا أكتر.

سعادة غريبة، نما له جناحان لف بهما أرجاء العالم، بسفينته المحاربة.

أراد إخبار الجميع بفرحه، بجميلته المجهولة، محبوبته.

وجد ضالته، ربما.

قدم لها أفضل مساعدة اليوم، ربما استغلها شخص حقير استغلها أسوأ استغلال، ترك لها حريتها على الأقل، حرص ألا يسبب لها فضيحة، لربما عادت لرشدها، ندمت يوما على فعلتها، لن يعلم أحد بما حدث أبدًا.

أعطاها شيئًا نادرًا لا تعلم عنه شيئا، بل أغلب نساء العرب يقضون حيواتهم دون معرفة شعورها، هديته لها، تجربة لا تنسى تكررت خمس مرات، لابد أنها تعشقه.

كانت تلك حجته، إجاباته على تساؤلات شوقي، كان غاضبا، أبى الظهور، حاول تهدئته، أراد ظهوره، مشاركته الفرحة.

إجابته لم تقنعه، تجاهله، ذهب ليستحم، عاد لسفينته، اندس أسفل مروحته، غط في نوم عميق.

○●○

فريدة

يقال إن للعقل قوة خفية في تغيير الأحداث، قوة خارقة لم نكتشفها بعد.

جلس بجانب فريدة، يتناقشان، كانت صغيرة، يافعة، جميلة، تسكن بالقرب منه، عرفها منذ كانت في الإعدادية.

تعشق الموسيقى مثله، تخصصت في إحدى الكليات التي تهتم بدراستها.

أحب إحساسها، رقتها، ذوقها في الموسيقى، تبعث له مقطوعات جديدة، أحب جنونها.

لم يرد إخبارها بعد، فضل الصمت حتى تسمح ظروفه بالزواج، أحمق.

علمت بحبه، تبادله الشعور، خجلت كعادة الفتيات، انتظرت مبادرته، على استعداد أن تنتظره باقي عمرها، لم ترد غيره.

قبلها على الرغم من علمه بتلك العثرة الصغيرة، لا تغفر، عثرة كافية لنبذها منذ صغرها، حرمت الكثير بسببها.

رأى ضعفها، كرهه في البداية، ظن بها مثل الجميع، احتفظ برأيه لنفسه لحين تأكده، لم يعلم أنها كذبة تسببت في حبه لها.

فريدة: إيه رأيك في آخر تراك بعتهولك؟

هاني: انتِ بتلاقى الأغاني دي فين!؟ أنا باكره العربي أصلا، أول مرة اسمع عن المغنيين دول، سمعت لهم عشانك بس!؟

فريدة: الأغاني طرب، إحساس، مش كله حب وفراق وبس.

هاني: هاسمع اللي هتبعتيهولي بس.

غلبها الخجل، صبغ وجهها بلون أحمر وردي، نظرت للأرض، زهرة بالشتاء، منكمشة، تخفى جمالها، تحمي نفسها من البرد القارس.

جلس كلاهما على أحد الأسوار؟؟ بعد تعب سيرهم الطويل بالجامعة.

سألها عن سبب كرهها للأغاني الرومانسية.

فريدة: مش على طول باكرهها، تفرق مين بعتها لي.

هاني: طب لو بعتتها أنا؟!

خجلت، نظرت للأرض، هربت من عينيه، محاولة إخفاء لون وجهها.

فهمها لكن فضل الانتظار، لن يكون عاقًا مجددًا.

هاني: فاكرة أول مرة اتقابلنا فيها؟

نظرت إلى عينيه، أخبرته، كانت بالتاسعة تقريبا، لأول مرة تمر من شارعه بالرغم من قربهم، كان واقفًا على سور السطح يلهو بيده كعصفورة صغيرة تحاول الطيران، سمعت صوت أحد ينادي، بصوت منبوح، منخفض.

صمتت قليلا، هربت من عينيه، لم ترد البوح.!

أكملت، رأته يبتسم لها، ثم هبط.!

o●o

عشرة

والد فريدة، شاب يافع في ٢٥ من عمره، تزوج منذ أسابيع قليلة وسط أفراح وصخب.

امتلك ذوقًا رفيعًا، زين القاعة التي تشبه قاعات السينما، مكان لقائهما الأول، رصت الكراسي بجانب بعضها في صفوف، طاولة صغيرة أمام كل صف، ممر يقطعها.

اهتم بكل تلك التفاصيل بنفسه لأنه أحبها.

تجرى الرياح بما لا تشتهى السفن.

بعد أسابيع قليلة بدأ الشك يتسلل إلى قلبه، أخبره بعض الأصدقاء بتردد زوجته على ملهي ليلى، رآها تخرج من سيارة رجل أعمال ثري.

صُدم، سُحبت روحه من جسده، قوة خفية تدعوها للهروب، للتمرد لتلتهمها، شعر بحمض بارد جاف يأكل روحة ببطء.

لم يصدق، أو بالأحرى لم يرد التصديق، إنها محبوبته، حارب الجميع من أجلها، كيف باعته بسهولة؟ كيف يصدق هذا الهراء؟

انتشرت الأحاديث، أكلت روحه ببطء.

فوجئ بطرق على الباب، كاد يُخلع من مكانه، لابد أن الطارق شخص قوى البنيان.

الشرطة؟! استدعاء للخائنة.

لم يقو على تركها وحيدة في مقر الشرطة.

ماذا يفعل بفريدة؟! إنها طفلة في عامها الخامس في تلك الحياة الكريهة.

تركها مع أحد الجيران تلهو مع الأطفال في الشارع حتى يعودا.

ذهبا لمقر الشرطة، وقعت الصاعقة، بدا شاحبًا كمن رأى شبحًا، سحبت روحه بالكامل، تجمدت الدماء في عروقه، ضرب الصقيع أطرافه.

استدعيت للمقر لأنها تزوجت ذلك الرجل، الثرى.

أخبره الجميع، لكنه لم يصدق، بل تشاجر معهم، كاد يلكمهم، خسر معظم أصدقائه بسببها، خائنة، تزوجت الثري عرفيًّا ووالد فريدة رسميًّا، هذا منافٍ للقانون، بل منافٍ للإنسانية، طعنته بخنجر مسموم.

والدة فريدة: حبيبى أنا عملت كده عشان مصلحتنا انت عارف الفلوس مقصرة ازاى، كنت باساعدك، مش عارف قعدنا قد إيه عشان نتجوز بس، عارف محتاجين قد إيه تاني عشان نربى فريدة كويس ونعلمها كويس؟

صمت طويلا، تحجر لسانه، فقد نطقه، ارتجفت شفتاه.

والد فريدة: فريدة، انتِ دمرتِ مستقبلها.

والدة فريدة: ماحصلش حاجة، ماحدش هيعرف.

عقد حاجبيه، اتسعت حدقتا عينيه، نظر في عينيها، غلبته دموعه رغم جهاده لإخفائها.

والد فريدة: ما عرفوا خلاص، عرفوا.

صمت كلاهما لا يدرى ما الحل، لا يوجد سوى مخرج واحد.!

والدة فريدة: هاقول له يطلقني و.

قاطعها، شدد من قبضته، يعتصر يديه.

والد فريدة: مين اللى قدم البلاغ أصلا؟

أومأت بعدم معرفتها.

والد فريدة: ماتعرفيش، كل ده و ماتعرفيش، أكيد هو.

عاد لصمته، لصدمته، عاد لحيرته.

تساءل إن كانت فريدة ابنته.!

والدة فريدة: ماتقولش كده، أنا باحبك انت، أكيد فريدة بنتك انت، أمال أنا باعمل كل ده لمين.

شد على قبضته مجددا، ضرب الحائط بقبضته.

والد فريدة: بس، بس، مش قادر اسمع صوتك، عاوز اشوف فريدة هي الوحيدة اللى فاضلة لى دلوقتى يا خاينة.

امتلأت عيناه بالدموع، لم يستطع مواجهتها، شعر بمرارة في حلقه، كأنه تناول جرعة من السُم، يتحدث مع أفعى باردة، تزداد المرارة كلما نظر لها، كلما تذكر الأيام، الساعات، ينحت الصخر سعيدا، ليصل لهذا الثعبان.

وصلوا للمنزل، فريدة تلعب مع الأطفال خارجا، احتضنها والدها، حملها على كتفه، ترتسم على وجهها ابتسامة بريئة، سعيدة، تشعر بالأمان، حمقاء.

لم يُجِدْ فن التمثيل.

ظلت على ابتسامتها، ربما لم تشعر بأي اختلاف.

حاولت الخائنة أن تتحدث، قاطعها.

والد فريدة: ادخلى جوة احسن لك مش طايقك، غورى من وشى الساعة دي.

صمت، عاد للعبة مع فريدة، غادرت والدتها، اختفت بداخل المنزل.

والد فريدة: تحبى تشوفى حاجة حلوة أوووى؟

لم ترد مازالت لا تسطيع النطق بالأحرف، أصدرت صوتا، أومأت برأسها بالموافقة.

والد فريدة: استنينى هنا وهارجع لك حالا، هاطير، أنا بطل خارق، ماتنسينيش يا فريدة، افتكرينى دايما، أنا بطلك الخارق، هاطير وآجي لك لو كنتِ فين.

ابتسم، أتقن فن التمثيل في وقت قياسي.

سقطت دمعة من عينيه، لاحظتها، لم يتقن فن التمثيل كما تخيل، أخفاها سريعًا بيده.

والد فريدة: بطل خارق بيتضحك عليه.

فريدة

الذاكرة شيء غريب يصعب تفسيره، تتذكر ما تشاء، كأن لها تفكيرًا منفصلًا.

في عامها العشرين، جلست بجوار هاني، تذكرت بعض أحداث ذلك اليوم المشؤوم، لعب أبوها معها، محاولاته الفاشلة للابتسام، تحدث كثيرا على غير عادته كأنه آخر يوم يراها فيه، علم أنه سيسقط من فوق السور وهو يلاعبها، ذهب ليفاجئها، أراد الطيران، طار بالفعل، كبطل خارق، كطير يرفرف بأجنحته، يضرب الهواء.

والد فريدة: ماما عندها مشكلة لازم أحلها، اوعى تنسيني.

لا تعلم أي مشكلة تلك، اقدر على حلها؟! حتى يومنا هذا لا تعلم.

تذكرت حين التقطها، ابتسم في وجهها، ابتسامته غريبة، إنه يخفى شيئا، لا تبالى، إنه والدها يحملها بين ذراعيه، يضمها بشدة، ضحكت، شعرت بالأمان.

أخبرها بالمفاجأة، تعجبت من سرعة تعلمه، أتقن تمثيل ضحكاته.

شعرت ببضع قطرات مياه سقطت فوق يدها، أخفى وجهه سريعًا بيديه، إنها تمطر.

ضحك من قلبه، لم يخفها كسابقتها.

تذكرت سقوطه وهو يلاعبها، كانت حادثة، هكذا أخبرها الجميع.

كاذبون.

كان يحل مشكلة أمها، تذكرت طيرانه، فرحتها، تحملها السعادة على أجنحتها لتطير بها بجوار والدها، أحبته من كل قلبها.

ما أسرع تبدد الأحلام.

اصطدم رأسه، غطتها الدماء، توقفت حركتها، اشتعلت معركة قاسية بداخلها.

فريدة: حصل إيه؟! جناحك اتكسر؟ انت مش محتاج جناح أصلا، انت بطل خارق، ايوة بطل خارق، انت قلتلى كده؟ كنت بتضحك عليَّ، رد على يا بابا، رد طب حليت المشكلة، طب أساعدك فيها؟ رد عليَّ، طب هكبر وهحلها لوحدى، بس رد طب هاحلها لوحدى دلوقتى، بس ر دكتور طب هي إيه أصلا؟ مش بترد ليه؟

بكت بهستيريا، صرخت عاليًا بمرارة، تجمع الناس حولها، خرجت أمها مسرعة، تشبثت فريدة بيده، لن تترك يده قبل أن يتحرك، قبل أن يرد عليها، وعدها بعودته، وعدها بالطيران إليها، وعدته بألا تنساه، أخذتها أمها للداخل عنوة.

والدة فريدة: شكرا، حليت المشكلة،

همست، لم يسمعه أحد سواها.

هربت، عادت له مسرعة، تحجرت، فقدت روحها، سلامها.

رأت مخلوقًا غريبًا، قرونه كبيرة، وجهه محترق، أجنحته ضخمة بحجم الطائرة ذات ريش أسود داكن، بها خطوط من حمم بركانية تسرى في أنابيب بارزة، عروقه، أقدامه تشبه أقدام الخيل العربى الأصيل، كسا جسده ريش أسود داكن، برزت عروق جسده متورمة بحممها البركانية، ذراعه ضخم كالمصارعين.

وضع قدمه فوق صدر أبيها، يضحك، صرخت، لم يره أحد غيرها.

ليست مواجهتها الأخيرة معه، رأته ثانية، على السطح، بجوار هاني، في التاسعة من عمرها، لم تمر بهذا الشارع مسبقا، يبعد شارعين فقط عن منزلها، مرت أمام منزله، انقبض قلبها، لم تشعر بهذا يومًا سوى ذلك اليوم المشؤوم.

أخذت نفسًا عميقًا، نظرت للسماء، تريح صدرها، رأته واقفا.

رأت المخلوق بجواره، التف حول رقبته سلسله حديدية ضخمة.

يده أعلى رأسه، كلاعب بولينج يمسك بكرته، يستعد لتصويبها.

سمعت صوت صراخ قوي لكن بعيدا.

لم يظهر فوق الأسطح فقط؟ ارتجفت، الزمن يتكرر.! جاهدت لتصرخ عاليا، لم تقدر! امتدت سلاسله لتصل حلقها، لتقيد أحبالها الصوتية، لم تكف عن المحاولة.

أخذ خطوة للأمام، تعلقت إحدى قدميه بالهواء، يرفع قدمه الأخرى.

لاحظها واقفة، ترتجف، تصرخ دون صوت.

ابتسم، نزل، لمح المخلوق عند نزوله.

حدقت في وجهه، تجمد الزمان، رأت في عينيه شلالات من الحمم البركانية.

انعقد حاجباه، ظهرت أنيابه، لم ترها مسبقًا، انتفض جسدها، رفع يده تجاهها، عقد قبضته.

تحجرت، اختفى فجأة.

عرفت أن أباها لم يسقط في حادث، إنما كلام أمها، أخبرها أنه سيطير، لكن ظهر نفس المخلوق.

أحبت هاني، خافت من ذلك المخلوق، من تكرار الزمان، نفس المصير، نفس المخلوق.

أحبت أمها لكنها كرهت مصيرها، رفضت بكل قواها ذلك المصير.

هاني الوحيد الذى أحبها بالرغم من معرفته بالعثرة، لم يحكم عليها بالموت كالآخرين، صدقها، أعطاها فرصة، صدق أمها، كفرت عن ذنبها، صدق أباها، لم يكن مجرما، إنما ضحية.

نعم ضحية الخوف، وهو يتحكم في أغلب تصرفات النساء.

خافت من اعترافه بحبه، كيف تجيب؟! بمَ تجيب؟!

انتظرت ذلك الاعتراف قرابة الأربع سنوات.

بدأت تمل.

o●o

عاد لمنزله تغمره السعادة، لمح مراده في عينيها، لمح حبها.

أيخبرها أم ينتظر حتى يستطيع الزواج منها؟!

شوقي: أتأكدت من حبها؟!

ابتسم هاني، ارتفعت دقات قلبه، أومأ بخجل.

هاني: بس خايف مانكملش ولا ماقدرش اتقدم لها ولا تزهق من المشوار الطويل ده، ساعتها هاخسرها وهي أقرب صاحب ليَّ.

خفض رأسه، يفكر.

شوقي: طب افرض حد جاهز اتقدم لها؟! ممكن تزهق.

التف حول نفسه ذهابًا وإيابًا في خط مستقيم، تلكم يداه بعضها.

شوقي: كلمها دلوقتى قول لها.

هاني: فين.

غمز له، ازدادت حركاته العابثة، ملأت الغرفة، ابتسم شوقي، اقترب منه.

شوقي: انت خايف.

توقف عن حركاته، ثبت مكانه، حدق في عيني شوقي، أسند ظهره للحائط، انزلق ليتربع على الأرض، أخرج هاتفه.

هاني: عاوز أقول لك حاجة مهمة.

اضطربت فريدة، دعت الله إلا يعترف لها الآن، تساءلت عن سبب رسالته، حاول مقابلتها، دق قلبها.

فريدة: بكرة في الجامعة.

لم يقدر على الانتظار.

فريدة: طب خلاص قول هنا عادى.

هاني: أنا باحبك

صمتت، أغلقت عينيها، احتضنت هاتفها.

ازداد توتره، هل أخطا في فهم عينيها؟!

هاني: بصى خدى راحتك، فكرى، أنا مستنى الرد.

انتظر يحدق في هاتفه طويلا، انقلع قلبه كصاروخ انطلق من صدره، دق سريعًا في نغمات عالية، كمن يقرع طبول الحرب، حاول جاهدًا أن يشغل نفسه، تصفح الإنترنت، حتى تعب، أغلق هاتفه.

فريدة: بص انت جدع وكل حاجة، انا فكرت كتير صدقنى ماحسيتش أي حاجة ناحيتك خالص، سامحنى لو لخبطتك بليز ماتحاولش تكلمنى تانى.

أحس باهتزاز هاتفه، حدق به من بعيد، مد يده ليمسكه، لكنها رفضت، عادت له مسرعة، شعرت بردها المؤلم، بوجود الكائن بطيات رسائلها، طاقته تحوم حول هاني.

استجمع قواه، امسك هاتفه، راها، احتبست الدماء بعينه، كساها حائط من المياه، اعتصر صدره، مزقه الحزن، كساة بثقب اسود.

قرأ الرسالة، مرة ثانية، وثالثة، بحث عن معني مختلف لها، لمحة منها، أين ذهبت عيناها، امتلأت بحبه، رفض كلماتها، تمني لو تغيرت الكلمات.

بعث رسالة، تبعها بأخرى وأخرى، لم يصلها أيٌّ منها، حظرته.

ألقى هاتفه تجاه الحائط، أراد تحطيمه، وقف متباطئا، تقدم بضع خطوات، أخذ نفسًا عميقًا ملأ صدره، صرخ عاليًا، غطى وجهه بيديه، كأنه في مباراة للملاكمة ضد أحد المحترفين، سدد لكماته لذلك الخصم، بطل العالم في الملاكمة، حائط خرساني.

عاقب نفسه على خسارة صاحبته المقربة الوحيدة، رغم أنها ابتعدت قليلًا مؤخرًا دون تفسير مقنع لكنها أفضل من الوحدة.

كاد يكسب المباراة لو لا تشقق يديه، كساها الدم بلون أحمر غامق، خصمه مازال صامدا، لم يعبأ بيده، أكمل مباراته، لا يشعر بحركة يده.

غير تقنيته، ضربه برأسه السميك، غطى الدم عينيه، تشوشت رؤيته، كثور عند رؤيته لونًا أحمر.

ألصق ظهره بالحائط وانزلق، مباراته لم تنتهِ.

تحولت لصراع بين ذكرياته الجميلة معها، تذكر كيف أنقذته حين التقيا للمرة الأولى، حين عرف قصة أبيها، أحبها لمجرد معرفته بالعثرة، أحب ضحكتها، ملأت حياته، تغلق عينيها حين تبتسم.

تذكر الموسيقى، ذوقها، أحبه كثيرا، أحب الأغاني العربية بسببها، تمزق قلبه إربا.

وحيدًا مجددًا، قدره.! تمنى لو سقط الطابق الذى يعلوه فوق رأسه، نهض، توجه مسرعًا للمطبخ، أخرج السكين الوحيد الذى يستخدمه.

هاني: حتى السكينة وحيدة، مش هاقدر أبدأ من الأول تانى، مش هالاقى زيها أصلاً.

وجه السكين في اتجاه قلبه

هاني: ماتنسينيش يا فريدة.

كررها، ضحك.

هاني: هاطيرلك لو كنتِ فين.

سدد السكين.

○●○

استيقظ فزعا، لهث، تسارعت أنفاسه، بحث في صدره، لم يجرح.!

شوقي: مين فيهم المرة دى؟!

يخرج أصواته بصعوبة.

هاني: فريدة.

نظر شوقي للأسفل، تهرب من لقاء أعينهم.

شوقي: برضه مت فى الآخر؟

علم شوقي في أحلامه، طرأت عليه مؤخرا، يرى ذكرياته المؤلمة بكل تفاصيلها لكنه دومًا يموت بالحُلم على عكس الذكرى.! كما ظهر ذلك المخلوق في أحلامه كلها قبيل موته.!

مسح وجهه بيديه، اعتدل ليجلس على سريره، عبث بلحيته الطويلة.

هاني: باعيش الماضي بكل تفاصيله، دا لو حكم إعدام كان ارحم، انت دايمًا بتلحقنى، ليه؟

شوقي: مش عارف، يمكن دي أمنيتك.

ضحك عاليا، نظر لشوقي، رفع أحد حاجبيه.

هاني: كفاية سارة، أروح أصبَّح عليها.

انقض على هاتفه كأسد يربض لفريسته، بعث رسالة..

تجمعت المياه وهو يغتسل، عكست صورته، قبض يده، ضرب المياه ليبعثرها، رأى وجها، أحب ضحكته.

هربت من عينيه دمعة، كالجندي الهارب من المعركة وجد أصدقاءه قتلى، قرر الهروب.

اصطدمت الدمعة بالمياه، انتشرت الموجات حولها، ابتسمت، عيناها مغلقتان، تهرب منهما دموعها،

أراد التخلص منها، كرهها.

تفقد هاتفه للمرة الأخيرة، لا توجد رسائل، توجه للجامعة، اتخذ طريقه المعتاد.

الموسيقي شيء غامض، لا يختلف على حبها اثنان، قطعة ساحرة من الجنة لا يفهمها أحد، في بعض الأحيان تحفز الذاكرة.

طريق طويل ينتظره، تذكر معركته مع ذلك الوحش المخيف، "الثانوية العامة"، تصور أنها النهاية، لا توجد حياة بعد تلك المعركة، إنما يوجد العدم، اللا وجود. تأكله المخلوقات الشريرة إن كانت وريقة تقديره ضعيفة، مخلوقات طيبة إن كانت وريقة تقديره جيدة، ربما هبط أحد الملائكة يقبض روحه اليوم، لن تكتمل حياته بعد المعركة، لا يعرف معنى الأحلام، لا يدري معنى الحياة، لا يعي مفهوم المستقبل، مستقبله مظلم، مجهول، أراد إثبات أنه ليس "صبى ميكانيكي"، أراد تقييمًا جيدًا، أراد إخراس اللحن الحزين، لحن حفرت أنغامه بداخل قلبه، ذاكرته، لحن طارده طول حياته، "خمسه و نص و خمسه" مازال يتردد في أذنه.

تذكر يومًا قال فيه إنه لن يدخل الشعبة العلمية، مجرد فكرة عابرة، لم يعطها وقتًا للتفكير، أراد الشعبة الرياضية، أحب الاختراعات، الحواسيب.

بمجرد ذكره للتخصص انهال عليه السباب، الإهانات، من كل حدب وصوب، ذكروه باللحن، بمنصبه بالعائلة، "صبى ميكانيكي".

عزم أن يلتحق بكلية الطب على رغم كرهه للأطباء؛ فقط ليخرس الجميع، ينتهى اللحن، يثبت أنه ليس "صبى ميكانيكى".

تمنى داخله لو كان صبيًا عاملاً، عائلته تحبه خير له من عائلته، كرهها من كل أعماقه، عزم على مغادرة المنزل فور إثباته ذاته، فور توفر إمكانية لاستقلاله عنهم، إنه أفضل من تخيلاتهم، لا يستحقون حبه، وجوده، سيهرب للأبد، انتظر تلك الوريقة فقط.

أحقًّا أمّن مستقبله؟ أحقًّا أمن الأموال؟ أسيختفي اللحن، أم يزداد؟!

هل ستختفي لعنته؟! أم سيصاب بلعنة جديدة.

الكوابيس، اكتسبها فور أن بدأ دراسته، بداية فقط، بداية اللعنات.

سنينه مكدسة، زحفت على العطلة لتلتهمها، سنوات متصلة بدون عطل، ٦ سنوات من الضغط، الإهانة، انصهرت قلوبهم، كفولاذ خارت قواه داخل الفرن، أسد، سقط فريسة سهلة لصياد خسيس.

بات التوتر صديقًا لكل الطلاب، غمرتهم العقد النفسية، بالأخص أساتذتهم.

احتمل طويلًا حتى ظهرت كوابيسه، لعنته الجديدة.

وصل الجامعة، دخل مكان كئيب معد للطلبة في مستشفى مهترئة، قديمة، غير آدمية، مرت ساعات طويلة، سرح كعادته في معركة البارحة.

تذكر سارة، تفقد هاتفه، رسائل كثيرة، لأول مرة يهتز هاتفه بتلك السرعة، جميعها إعلانات، بعضها من مجهولين، جدد تجاهلهم، انتظر رسالة واحدة لم يجدها.

انتهت المحاضرة، خرجوا، جلس مع أصدقائه، كانت عطلته من العيادة.

أراد الهرب، السفر بعيدًا لفترة، صدمه أصدقاؤه باختبارات جديدة، بعد ٤ أيام، على الرغم من انتهائهم للتو من بعض الاختبارات.

عاد لموسيقاه، بدأ تفكيره، من أجل لقب حقير يفنون أجمل سني عمرهم، محبوسون بالمنزل مع كتاب أصم كرهوه من أعماقهم.

بمجرد أخذ لقب لعين صرت رسولًا أو ملاكًا غير مسموح لك بالخطأ ولا حتى مسموح لك بأبسط حقوقك من نوم و مأكل، إحدى المرضى بقسم الطوارئ، لا يستقبل سوى الحالات الطارئة فقط، في منتصف الليل، تتدلل على زوجها أو حبيبها، تمثل أنها أغشى عليها فور فراقه.

يفقدون عملهم، يوصفون بأبشع الأوصاف إذا طلبوا حقهم، أجرهم، كجنود مرتزقة، يتقاضون أموالًا لمحاربة ذلك الوحش الكاسر، الحرب مكسب أو خسارة.

تذكر فرصًا جيدة كثيرة على الرغم من نقص مؤهلاته! امتلك شهادة الثانوية فقط، جميعها أفضل، ذات أجر أعلى.

برع في صناعة الفيديوهات، تعديلها، عُرض عليه العمل مع أكبر المصورين، يعدل صوره، سرعان ما ترك عمله مجبرا، اختبارات نهاية العام امتدت لثلاثة أشهر كاملة، لم ينتظره المصور، بحث عن بديل، لم يعبأ، وثق بقدراته.

جاءه عرض آخر، شركة كبيرة متعددة الجنسيات، تعمل على تعديل الأفلام السينمائية، عمل بها ستة أشهر، تم استبعاده مجددا، انشغل باختباراته مجددا،

نفس المدة، ثلاثة أشهر، سخر منه القدر، طارد حلمه كالمجنون، سرابا، كاد يمسك ضوء الشمس بيديه، فر منه، فارس قطع الأشواط على ظهر جواده العربي الأصيل ليسقط قتيلًا في مكان مجهول.

جاءه عرض آخر، شركة عالمية مشهورة تعمل في الأفلام الكرتونية أرادوا تجنيده مقاتلًا بصفوفهم، لكن القدر لا يرحم يطعنك في ظهرك وأنت مصاب، واهن، لا تقدر على الحركة، عرف تفاصيل العمل، وقبل أن يرد بالموافقة انقطع الاتصال، ظهر على هاتفه لا يوجد اتصال بالشبكة، كاد يحطم الهاتف، لولا تذكره أنه لا يملك رفاهية شراء هاتف جديد أو حتى إصلاحه.

طال انقطاعه عن العمل جتي عرض عليه دكتور عبد الهادي العبودية، الجوع يقرص أحشاءه، أراد القليل من الطعام يدفئ معدته من برد الليالي الموحشة التي فقد فيها كل آماله، قرر التخلي عن حلمه، روحه، أمله في الحياة.

تزامنت العبودية مع فقدانه فريدة، فقد أمله في الحب، قرر اتباع طريق آخر، عالم آخر نقي، لطيف.

قَبِل العبودية، قتل حلمه بمهده ليأكل، ليحيا جسده، بدأت كوابيسه وقتها.

وصل منزله، أراد الذهاب لصالة الألعاب الرياضية، لا يملك الوقت الكافي، أراد البدء في الدراسة، مارس الرياضة في منزله.

بعض التمارين البسيطة، انتهى منها سريعًا، اغتسل جيدا، أحب المياه، يلهو بها، تداعب جسده، رفع صوت موسيقاه إلى حد يزعج جيرانه، لا يعبأ، سمع

صوت هاتفه، ظن أنها سارة، افتقدها كثيرا، خرج سريعا، نسى ارتداء ملابسه، أمسك بهاتفه رسالة من كريم، تركه، ارتدى ملابسه.

كان كريم يستنجد به! انتفض هاني، سأله سريعًا عن خطبه؟ شعر بدوار، يرى خيالات غريبة! سأله أين اتجه بعد مغادرتهم.

كريم: جبت التموين.

قصد عقارًا منشطًا اعتاد أخذه لتقوية ذاكرته، تعجب هاني من فعلته لكن تبرير كريم غريب من نوعه! تعلل بأن أغلب أصدقائهم يتعاطون نفس العقار ليستطيعوا التركيز فترات طويلة!

منة

أنهى محادثته، يسب للجامعة، كريم محق، أكثر من نصف أصدقائهم يتعاطون العقار! تذكر محادثة مع إحدى صديقاته التي شكت من قلة نومها لتوترها وخوفها من اقتراب الاختبارات، حاول تهدئتها، نصحها أن تغتسل بماء ساخن، انفرجت عن تجربت الخدع للنوم لكنها دومًا تفشل، لا تنام إلا عندما يغشى عليها بعد يومين أو ثلاثه من السهر! إنها الوريقة! احتاجت تقييمًا عاليًا بأي طريقة! حتى أنها قررت أخذ عقار منوم دون وصفه من أي طبيب! اعترض هاني على قرارها، ستعتاد المنوم و تعود لحالتها من الأرق، ستجرب جميع الأنواع وهي مازالت في الرابعة والعشرين من عمرها! المنومات يصفها الأطباء للعواجيز فقط لأن سنيهم معدودة! حتى إذا اعتادوا بعض الأنواع لن تنتهي معظم الأنواع قبل حدوث ما هو أسوأ! لكنها لم تجد خيارًا آخر، اقتربت من سنتين دون نوم مريح، أصبحت عيناها سوداوين كالمدمنين! كاد خطيبها يتركها بسبب سواد عينيها، تغير لون بشرتها و ملمسها.

مسكينة، من ضحايا الضغط المتواصل، أميرة جميلة حرمت أبسط حقوقها، صارت أرضًا جرداء، صحراء يابسة، انطفأت أضواؤها، قتلت زهرة شبابها، جثة أخرى ألقيت بقبو مشرحة الجامعة، حقيقة مرة، مؤلمة، لا يعلمها أغلب طلابها، فوجئوا بها، خشى الاعتراف بها الأطباء.

ليسوا الوحيدين، هناك الكثير مثلهم، تذكر صديقه أمين.

كان مكتئبًا من وحدته! جل ما أراده الخروج من منزله فقط! بدأ في أخذ عقار مضاد للاكتئاب من تلقاء نفسه أيضا!!

تكررت الأحداث باختلاف بسيط، جثة أخرى في مشرحة الجامعة، تكررت نفس الجملة.

"مافيش حل، جربت كل حاجة".

تذكر إحصائية قام بها أحد طلاب الدراسات العليا لنسبة المصابين بالاكتئاب بالكلية، تتراوح بين ستين وسبعين في المئة!! أنها أقل من الواقع، كثير من الطلاب تعمدوا إخفاء علامات المرض أو رفضوا الاشتراك من الأساس خوفًا من وصمة العار، أكثر من تسعين في المئة مصابون بالاكتئاب! الأكثرية من طلاب السنوات النهائية.

o●o

نادين

أحضر كتبه، وضعها في فراشه، بدأ دراسته، اختفى أسفلها كالغريق، ببحر واسع، عميق، لا يخرج من البحر قبل ساعات متأخرة ليلا، انتهى من جزء كبير، اعتاد السرعة بدراسته، ساعده ذكائه.

علم ضرورة وجود ما يدفعه للأمام، مخدر يساعده! اختار ألا يصبح مدمنا، وجد مخدرًا من نوع أخر، طبيعي، يبتعد عنه بأي وقت، مخدر بحث عنه البشر منذ فجر التاريخ، خُلقنًا لنتغذى عليه، سبب سقوط ادم، طرده من الجنة، سبب سقوط هاني.

الحب، المشاعر الجياشة، الاهتمام الذى افتقر إليه، مخدراته! صراع أبدى، عادات مجتمعه أم احتياجه المُلح.

انهي دراسته، ترك كتبه، امسك هاتفه، انتظر رسالة سارة، لا شيء، قرأ المحادثة، ابتسم، شعر بحرارة غريبة أشعلت صدره، بعث رسالة أخرى.

"فشل الإرسال".

اشتعل غضبه، أخبرته بحبها! كيف؟ بحث عن طريقة أخرى للتواصل معها، التطبيق يحرص على السرية، عدم التقاء المرتادين بعد الحظر.

هاني: في ستين داهية فيه غيرك كتير.

أرسل ردودًا لجميع من تجاهلهم سابقا، انتظر الرد، أغلبهم مل الانتظار، ذهب ليبحث عن صياد آخر.

التطبيق أشبه بالصيد، يتفنن فيه الصيادون بعبارات أخاذة، صور ملفتة، تبتلع الفتاة الطعم، تختار الفريسة صيادها، تبتلع طعمه، تلقى بجسدها بين يديه كطفل رضيع غُلب على أمره، بين يدى أمه، تتمايل به يمينًا ويسارًا، لكنه ليس طفلًا بريئا.

ألقي بهاتفه بعيدًا فوق سفينته، نظر إليه، انتظر إضاءة الهاتف، فقد الأمل.

مجهول: هاى، كل ده عشان ترد عليَّ؟!

أضاء هاتفه من بعيد، انقض عليه سريعا.

هاني: ماعلش كنت مشغول شوية بس.

عرفها بنفسه أولا، عرفته بنفسها أيضا، نادين، في عامها الثاني والعشرين، كان تخصصها غريبًا على أذن هاني، درست الحقوق باللغة الإنجليزية!

نادين: بص هابعت لك صورتى وتقول لى رأيك.

ارتسمت على وجهه ابتسامة عريضة، تمسك بهاتفه جيدا، أعاد تحميل تطبيقه مرارا! لم يطق الانتظار.

غازلها، كانت آية في الجمال! لم تصدق مغازلاته!!

هاني: دا انتِ لو معايا ماكنتش خليتك تسيبى الأوضة.

صمت كلاهما فترة طويلة.

نادين: تخيل حبيبى سابنى، حد يسيب الجمال ده بذمتك؟!

هاني: عبيط بقى، مش مقدر النعمة اللى في إيده.

بعثت له بكثير من صورها! أرادت رأيه فيها جميعا!

نادين: لو كنت معاك كنت هتعمل إيه؟!

هاني: أنا ماباحكيش، أنا بانفذ على طول.

اشتكت من فقدان حبيبها البارحة، تعجب، سألها عن قصته! أخبرته أنه صديق لها من الجامعة، يحبها منذ فترة ليست بقليلة، طلب منها كثيرًا القدوم لمنزله! حتى أغواها، وافقته أخيرًا بعدما أخبرها أن قدومها علامة إخلاصها له! سلمت له جسدها بالكامل! حتى صارت مدمنة!! كانت هي من يشتاق إليه!! حتى أخبرها بملله منها، تركها.

هاني: كان عاوز جسمك وبس، يستغلك.

نادين: طب أنا عندي فكرة حلوة، لو عندك مكان فاضي أنا ممكن آجي لك، حتى لو عربية و نركن في شارع فاضي.

لم يمتلك عربة، لكنه يعيش بمفرده! لكن اختباراته، عرضت عليه الإقامة في منزله طوال فترة اختباراته! وافق.

نادين: بس أنا عاوزاك دلوقتى، ليَّ شهرين ماعملتش حاجة.

جلس بسفينته، يقودها بشجاعة، باسم الثغر قويا، يهابه الجميع، بدأت المعركة، امتطى أعداؤه الحبال المعلقة بالشراع، التفوا حوله، كطير جارح يحوم حوله، ينتظر التهامه.

القبطان الشجاع وحيد استل سيفه، أمسكه بكلتا يديه، تصدى لضربة من يمينه، وأخرى من يساره، سدد اللكمات لتصطدم بأعدائه تلقيهم في المياه كأنهم حشرات، ضرب أحدهم بلكمة قوية أفقدته صوابه، طار سيفه، متمردًا يطالب بيد أكثر مهارة ليحارب بجانبها، لبى القبطان نداءه، أمسك به في الهواء بيده الأخرى، سدد به الطعنات، الضربات القاضية.

استمرت المعركة قرابة الساعتين، تسلل التعب لسيفه المنتصب، الشامخ، صُبغ بلون الدماء، سالت على جوانبه، نال التعب من الأعداء.

الدماء تسيل في كل حدب وصوب.

رفعت الرايات البيضاء، أعلن الطرفان استسلامهم أخيرا.

نادين: يخرب بيتك يا هاني، انت مصيبة فعلا.

فتح فاه، يتنفس عاليا، تساءلت إن كانت أعجبته؟

هاني: جدًّا.

حاول التقاط أنفاسه بصعوبة، أخبرته بقدومها في الغد لترى بنفسها، أغلق هاتفه، اتجه لشرفته، وصلته صورة أخرى منها، ارتدت فستانًا أحمر اللون يبرز مفاتنها!! سقط فكه لأسفل من شدة إعجابه، أرادت ارتداءه في الغد عند

قدومها لمنزله، وافق مسرعًا، أرسلت له صورًا أخرى ليختار ما يريده من ملابس.

حقًّا جميلة، قوامها ممشوق، عيناها ضيقتان، رموشها ساحرة، أعجب بكل فساتينها، بالأخص فستانها الأسود عارى الكتفين، قصير بالكاد يصل فوق ركبتيها به تطريز صغير في مقدمته، سال شعرها الذهبي على كتفيها كسلاسل من الحرير.

أعطاها عنوانه، اتفقوا أن ينتظرها في تمام العاشرة صباحًا.

هاني: ماتجيبى رقمك عشان نعرف نتكلم حتى لو حصلت حاجة ولا ماعرفتيش توصلى.

مجهول: لا ماعلش مش هينفع، أنا معايا باقة وهافضل فاتحة نت، نتكلم هنا.

تسأل عن أهلها! كيف ستخبرهم بغيابها لمدة أسبوع! أخبرتها أنها معتادة أن تخبرهم بذهابها لإحدى صديقاتها، كما أن صديقتها تستر أمرها، تعجب هاني! ألا تخاف أن تفضحها يوما! أخبرته أن صديقتها أيضا تخبر أهلها بذهابها لمنزلها في حين ذهابها لمنزل حبيبها.

نادين: لسة باتنفض.

هاني: صح كام مرة؟

نادين: لا كتير يا مفترى.

استلقي على ظهره، ضم هاتفه كمن عثر على كنز، لم يرد إفلاته من بين ضلوعه، قرص يده، يتأكد انه لا يحلم، لم يصدق ما حدث أحقًّا ضحكت له الحياة؟

شوقي: للدرجة دي؟!

هاني: النهارده أحلى يوم في عمرى، من النهارده مافيش أحزان تانى، من النهارده فرح وبس، لقيتها أخيرًا يا شوقى، لقيت فريدة.

اتسعت عينا شوقي، نظر لهاني بتمعن.

شوقي: تقصد نادين؟

اعتدل ليجلس.

هاني: هو أنا قلت إيه؟!

شوقي: فريدة.

نظر في عيني شوقي، تطاير الشرار منها، اتهمه بالكذب! عاد لنومته، تقدم شوقي، وقف بجانب رأسه، نظر له بعينه.

شوقي: مالاحظتش عينيها في الصور؟!

نظر للصور، صعق! عيناهما متماثلتان! يستطيع تمييزهما من بين آلاف، عينا فريدة الضيقتان، ابتسامتها تحجبهما، مثل نادين.

تذكر لقاءه الأول مع فريدة، عيناها، ضحكتها، لفتا انتباهه، مثل نادين.

هاني: صدفة مش أكتر يا شوقي، أو يمكن أنا باحب العيون دي.

تركه، ذهب ليغتسل، توجه لسفينته مرة أخرى، ألقى بجسده المنهك من المعركة، تمدد كجثة هامدة، غط في نوم عميق.

o●o

فريدة

جلس في شرفة الشاليه الخاص به بجوار البحر، عشق أمواجه، أحب رائحته، جلست أمامه بفستانها الداكن، شعرها الأسود الحريري يتطاير مع الهواء الطلق كلوحة جميلة لسماء سوداء، لا يستطيع رسمها أمهر الفنانين، أقراطها الذهبية تتدلى من أذنيها بدلال، رقيقة، مثلها، عيناها الضيقتان المميزتان، تبرقان متلألئتان في سماء الليل القاتم، كنجمين يحترقان في صفاء سماء وجهها، غابتا عن استحياء.

تذكر يوم شرائه الأقراط، رأى في عينيها فرحة طفل حصل على لعبة طال انتظارها، أحبت الهدية دون رؤيتها، أقراط على شكل حمامة صغيرة، تحمل غصنًا من الزيتون، معها سلسلة زينت رقبتها، تدلت على صدرها، باقي هدية زفافهما، كانت على شكل نوتة موسيقية.

أغلقت عينيها تستمع لألحان البحر، يعزفها لها، تتناغم مع ألحان كمنجتها، عزفت لحنًا جميلًا علمه جيدًا، تذكره بكل تفاصيله، رفيق دربه منذ طفولته يتغني به.

سرقت نظرة خاطفه إلى وجهه، ابتسم لها بدلال، أغلقت عيناها بخجل، شعر بالأمان لأول مرة منذ اعوام، شعر بالانتصار، صارع دنياه، اليوم يعيش حلمه، تزوج فريدة، إنهما في شهر العسل، يجوبون البلدان معا، أصرت على إحضار

الكمانجة لتعزف لهاني في أمسية شاعرية كهذه، علمت كم أحب عزفها، توقفت عن العزف.

فريدة: انت متضايق؟ لحن خمسة ونص وخمسة؟!

لم يشعر بضيق، على العكس تماما! شعر بالأمان، أحب سماع اللحن منها! ضحك حين تذكر جميع ذكرياته الأليمة مع ذلك اللحن، أخبرها أنه كسب حربه، كسبها أخيرا، لم يرد غيرها قط!

فريدة: إيه الكلام اللي يدوخ ده يا هاني، أنا مش قدك.

ابتسمت بخجل، غابت عيناها، انصبغت وجنتاها بلون وردى.

تمنت العزف في حفل موسيقى، أرسلت سيرتها الذاتية وبعض معزوفاتها لأحد المكاتب المتخصصة في تقديم مثل هذه المواهب.

تفقدت شاشة هاتفها، تسارعت دقات قلبها، تغيرت لهجتها، اتصال من مدير المكتب قطع خلوتهما.

فريدة: آه طبعًا فاكراك أستاذ حسن، ازيك؟

اتسعت حدقتا عينيها.

فريدة: كمان سولو..

ابتسمت.

فريدة: مش عارفة أصل أنا لسه في شهر العسل ماكملتش أسبوع.

انتظرت رد هاني، أخبرها بإعادة المحاولة، إنها فرصة لن تتكرر لها، فرقة مشهورة يريدونها لتعزف منفردة! لكنه شهر واحد في العمر!

بعد محاولات كثرة أخبرها المدير أنه لا مفر من قطع إجازتها، بيعت كل التذاكر بالفعل، لا يمكن تأجيل الحفل إطلاقا!

هاني: خلاص وافقي.

لمعت عيناها، لم تصدق، حاولت الرفض، أخبرها أنه حلمها، يمكن تعويض شهر العسل، ارتبطوا للنهاية!

وقفت، اتجهت إليه، طبعت قبلة، ابتسمت، غابت عيناها، اندفعت الكلمات من فمها.

فريدة: خلاص موافقة يا أستاذ حسن.

أغلقت هاتفها، أمسكت هاني من يده، أخذته مسرعة للداخل لاختيار ملابس الحفل، توقف، سحب يده، ابتسم، وجد مبتغاها بالفعل.

هاني: نفس الطقم ده بكل تفاصيله، حبيته قوى.

اتسعت عيناها، صمتت طويلا.

حفلتها بعد يومين، ذهبوا لحجز تذاكر الطائرة، مهمة شبة مستحيلة لكنه لايعرف المستحيل، وعدها بتحقيق حلمها، لن يدع عائقًا ينتصر عليهما، لن يراها حزينة.

جلست في أحد مقاعد الانتظار، انتظرت عودة بطلها حاملًا رايات النصر، القلق يقتلها، طفلة صغيرة تنتظر أباها ليعود حاملًا للهدايا.

هاني: مساء الخير، من فضلك عاوز تذكرتين في أقرب طيارة للقاهرة.

أقرب تذكرة متاحة بعد أسبوع! ضرب المكتب بقبضته، ألا يوجد ما هو أقرب! تسأل عن مقاعد الجيش أو الصحفيين، تهكم الموظف.

الموظف: مافيش مقاعد للجيش والصحفيين يا افندم.

استدار ليجد فريدة تهز ساقيها بعنف، عاد للموظف نظر في عينيه مباشرة.

هاني: أنا دكتور كنت في شهر العسل وفيه مريض حالته خطيرة بيموت، الدكتور التانى اللى المفروض يتابع عمل حادثة! دلوقتى مافيش غيرى ينفع يساعده لأن احنا الاتنين بس اللى عملنا له العملية وشفنا عنده إيه جوة بطنه، حالته غريبة مش هاعرف اشرحها لأى دكتور تانى.

ذهب الموظف لمكتب صغير في الخلف، تشاور مع مديره، راقبه جيئة وذهابا، ثبت عينيه كأسد ينتظر فريسته لينقض عليها، بالطبع كذب، لكنه حال الدنيا، وجب عليك اقتناص الفرص، حفلها لا يقل أهمية عن موت أحد المرضى، كذبة صغيرة تصلح كل شيء.

الموظف: المدير متفهم جدًّا و حاول يجيب لحضرتك تذكرتين بكل الطرق، بس للأسف.

قاطعه هاني مسرعا، ضم الموظف أصابعه لتكون هرما، مهدئا. عاد ليكمل حديثه.

الموظف: طب اسمعنى حضرتك بس، قدرنا نوفر لحضرتك كرسي واحد، بس درجة أولى، النهاردة.

هاني: مش مهم ماشى، بس كرسي واحد بس؟ طب و مراتي.

رفع كتفيه كإشارة منه بأنه لا يدرى ما العمل.

لمح هاني إحدى المضيفات اغشي عليها في القاعة، أسرع نحوها، أبعد الجميع عنها ليسمح لها بالتنفس، أجرى لها بعض الإسعافات الأولية، رفع ساقيها لأعلى ليسمح للدم بالوصول للمخ، أفاقت، لكنها لا تدري أين كانت، فتشوا حقائبها ليعلموا هويتها، بحث عن هاتفها أو بطاقتها أو أي شيء يخبرهم من تكون، وجد بداخلها تذكرة بعد يومين!

عاد لفريدة حاملًا رايات النصر، مبتسمًا ابتسامة عرفتها فريدة، تخفي أكثر مما تبوح.

أعطاها تذكرتها، تجهم وجهها، تبدل صوتها، كساه الحزن.

فريدة: طب وانت؟ مش هتحضر.

هاني: لا طبعا هاحضر ماتخافيش، دي تذكرة مخصوص ليَّ بس بعد يومين.

فريدة: هتلحق.

غمز لها.

هاني: مش وعدتك؟!

نظرت للتذكرة بيدها.

فريدة: بس درجة أولى، أكيد غالية.

أمسك بكتفيها.

هاني: ماتغلاش عليكِ، ماتفكريش في الفلوس دلوقتى.

رفعت رأسها لتنظر في عينيه.

فريدة: مالحقتش ألم شنطتى؟!

هاني: انتِ لابسة الفستان اللى هتروحى بيه، باقى الهدوم في البيت، قضي اليومين دول كده وأنا هاجيب كل حاجة معايا.

ألقت برأسها على صدره، احتضنها، ذهبت، تركته خلفها، تابعها كمن فقد قلبه، شاهده يمشي أمامه، التفتت خلفها، ابتسمت.

فريدة: باحبك.

قبلت يدها، نفخت بها لترسلها لحبيبها بغنج، تلقي قبلتها بقلبه كسهم كيوبيد اخترق منتصف قلبه، ازداد الزحام فجأة، اختفت.

ظهر وجه يشبهها، على مقربة منه.

انطلق في طريقه للعودة منتظرًا رحلته، حدث فريدة يوميا، انتظر بفارغ الصبر، مر يومان، رآها بجوار الشاطئ، تمشي ببطء، تستنشق نسيم البحر.

أسرع إليها، لم تلاحظه، تتأمل البحر، هائمة في أمواجه.

هاني: ماسافرتيش ليه يا هانم، بتضحكى على كل يوم، بتقولي لى انك في البيت، وأنا أقول البت مالهاش علاقة بأمها، صحيح اقلب القدرة على فمها تطلع البت لامها.

أمسك بكتفها وهو يكلمها، التفتت خلفها.

نادين: هو انت بتتكلمنى كده ليه؟! انت مين أصلا؟!

صعق، أصدر أصوات شبيهة بالكلمات.

هاني: ن، نا، نادين.

نادين: وكمان عارف اسمى، انت مين؟!

هاني: افتكرتك حد اعرفه بس، حضرتك اسمك نادين؟

ألا تعرفه، لم تر وجهه بعد؟!

نادين: آه، وحضرتك يا سي الشكاك؟!

أخبرها باسمه.

نادين: فيه حد يشك في مراته برضه يا دكتور هاني؟!

انعقد لسانه، هربت الكلمات من فمه، عرفت مهنته، زواجه! علمت أن الشك بدأ يتسلل بداخله، تذكر الوجه في المطار، أكانت هي أيضا!

هاني: انتِ مين؟!

ضحكت، أخبرته ألا يخاف، كان واضحًا شكه بزوجته من كلامه، كما وضح أيضا أن عثرة والدتها جعلته يشك بها! ليس ذنبها، لا أحد يختار أهله، مسكينة، ستقضي بقية حياته وسط شك من كل المقربين جرى خطأ لم ترتكبه!

انتفض مسرعا، سألها كيف عرفت مهنته؟! رفعت كتفيها لأعلى ببرود.

نادين: شفتك قبل كده بتقرأ كتاب طبى وانت قاعد هنا، نفس المكان اللي كنت قاعد فيه معاها لما جت لها المكالمة.

حاول الهرب، تحجرت قدماه، انهارت أعصابه كليا، أي مكالمة؟

نادين: الحفلة.

كيف عرفت؟!

نادين: نسيت. أعرفك بنفسي، أنا جارتكم في الشالية اللى هناك ده.

أخذ نفسًا عميقًا، بدات أعصابه تعود لطبيعتها، نظر إلى ساعته، تأخر!

انطلق للمطار مسرعًا، تذكر عدم إحضاره أي كتب طبية معه، لم يقرأ أي كتاب منذ أتي للشاليه! أقرب شاليه يبعد عنه بضع كيلومترات، أكانت تقطع كل هذه المسافة يوميًّا لتتابعهما، من هي؟! كيف علمت كل هذا عن حياتهما؟! عن فريدة؟! اقشعر جسده، هناك خطب ما.

وصلت فريدة لمقر الحفل مرتدية فستانها الأسود، حاولت الاتصال به، صمت هاتفها، ظنت أن هناك خطبًا به، نظرت للشاشة، الاتصال جارٍ لكن لا صوت، انتظرت لحظات مرت كأنها سنون.

هاتفه مغلق، تسلل الشك إلى قلبها، أكل القلق موهبتها، طمأنت نفسها، أخذت نفسًا عميقًا.

الحفل يقترب، لم يظهر هاني بعد؟! ماذا حدث له، لقد وعدها بالمجيء.

سيأتي، لم يخيب آمالها قط، لم ينكث بوعده يومًا.

صوت: هنبدأ بعد خمس دقايق، كله يجهز يا فنانين.

كرهت التنبيهات المزعجة، ينبههم باقتراب نهايتهم كقط يداعب فأر قبل افتراسه، اختنقت أنفاسها.

استجمعت قواها قبل فتح الستار، أخذت نفسًا عميقًا، أغلقت عينيها، تقدمت نحو المسرح، استرقت بعض النظرات من خلف الستار، القاعة مظلمة، رأت جزءًا بسيطًا من الحضور، العدد أكبر من أي جمهور سمعها يومًا، ارتجفت يداها.

صوت: الستارة هتفتح بعد خمسة.

تقاذفت الأفكار في عقلها.

فريدة: استني، إيديَّ بتترعش.

صوت: أربعة.

مازالت أفكارها متسارعة.

فريدة: مش باعرف اعزف.

صوت: تلاتة.

ازدادت دقات قلبها.

فريدة: نسيت كل المقطوعات، يا رب.

أكمل المنبه العد بيده بدلا من المناداة استعدادًا لفتح الستار.

اتنين.

ضاقت عيناها، تعرقت يداها.

فريدة: يا ربي هو الوحيد اللى بيعرف يفك عنى التوتر.

أشار المنبه مجددا:

واحد.

غطي صوت أنفاسها على صوت العزف، كتمتها.

فريدة: شايفة السكينة جاية ناحيتى خلاص.

فُتح الستار، أضواء المسرح ساطعة، ضاقت حدقتا عينيها، صعبت الرؤية عليها، تقدمت إلى مكانها، تأقلمت عيناها، لاحظت العدد الهائل، تجمدت قدماها، عدد أكبر مما رأته سابقًا، حاولت التحرك، تمردت قدماها، أبت الحركة، حاولت بكل قواها، تحركت ببطء، أدت تحيتها، جلست بمكانها، استنزفت قواها بحركاتٍ بسيطة، شعرت بوهن لم يصبها مطلقًا طوال حياتها، عادت يداها لترتجف، عزفها سيء للمرة الأولى في حياتها، تخلط بين الأوتار كطفل صغير يتعلم كيفية العزف.

تذمر الجمهور، تعالت الصيحات، ألقوا النكات على أدائها، سمعت ضحكات الجمهور، تعالى ليفوق عزفهم، فكرت في التخلي عن حلمها، إنهاء المهزلة، ربما لم تخلق لتعزف!

توقفت، ألقت نظرة أخيرة على كمنجتها، تودعها، ألقت نظرها على الجمهور تعاتبهم، تبحث عن وجه واحد فقط..

رأته!

وصل لتوه، التقت أعينهما للحظات بسيطة بدت كأنها سنون، عاتبته على تخليه عن حلمها، تساءلت عن تأخره؟! لكنها فرحت بقدومه.

طمأنها، كطفلة صغيرة، انتظرت حضور والدها، لن يتخلى عنها، أعطاها ثقة في قدراتها، بها، عاتبها على عزفها السيء.

عادت ثقتها، جلست، اختفت رجفتها، انتهي تحجر يديها، بدأت في العزف، تحسنت بشكل ملحوظ.

صمت الجمهور، أخذت عقولهم بعزفها، خجلوا لضحكهم عليها، صفقوا لها كاعتذار، ازدادت ثقتها.

موعد عزفها المنفرد، خرج العازفون، المسرح ملكها وحدها، تقدمت إلى منتصف المسرح، أمسكت بالميكرفون.

فريدة: مساء الخير، طبعا أغلبكم مايعرفنيش، أنا فريدة المصرى، وجه جديد، هاعزف لكم مقطوعة عزيزة على قلبي قوى، إهداء منى لأعز شخص عندي، أجدع و أحن راجل عرفته في حياتي.

بدأت عزف مقطوعة عالمية، يحبها هاني.

تعجبت، تغير اللحن! لم ترد تغييره! فقدت التحكم في يديها، تتحرك من تلقاء نفسها، تحول للحن حزين، كرهه، سمع صوت إخوته يتغنون به.

خمسة ونص وخمسة.

لا تأتي المصائب فرادى، اضطرابات بالطائرة، ظن أن حياته انتهت.

صارع الزحام في طريقه للحفل.

جميع الإشارات حمراء، مكدسة، عدادها بطئ جدًّا قضى الأبدية في انتظار تغير اللون اللعين.

ضغط على سائق سيارة الأجرة للإسراع، يتفقد ساعته كل دقيقة.

لمح طريقًا مختصرًا لكنه ضيق لا تسطيع السيارة المرور به، ألقي بعض الأموال فاقت أجرته، انطلق في الطريق، ركض، انقطعت أنفاسه.

وصل، التقت أعينهما، تحولت عيناه لشاعر متمرس.

"فلتهدئيِ الآن يا طفلتي، اطمئني يا أفضل العازفين، بضع آلاف من المتفرجين فقط! تستحقين الملايين عزيزتي، لتبدأ يداك الجميلتان مداعبة الأوتار السحرية، ليبدأ سحرك يا صغيرتي، أبهريهم".

بدأت عزفها المنفرد، أهدته المقطوعة، دق قلبه متمردًا على صمته، حتى عينيه لم تصمتا، فضحتاه، أراد الهتاف عاليًا.

"إنها زوجتي".

"تألقي عاليًا يا نجمتي".

سمع تصفيقًا، طار من الفرحة، التفت حوله، رأى الأسف في أعين الحضور، يستحقون، قابلوها بنكات سخيفة؟! ضحكوا من توترها؟!

التفت لجانبه الآخر، تجمدت دماؤه، تشنجت رقبته، ارتجف جسده بالكامل، ارتعب من رؤيتها.

كيف حضرت؟! آلاف الكيلومترات تفصلهما.

نادين تجلس بجانبه!

بدأت المقطوعة تتبدل! لما اختارت فريدة ذلك اللحن، صوت إخوته يتغنين باللحن، أبوه يشاركهم.

وقف على سور سطح منزله القديم.

ردد كل الحضور اللحن، "خمسة ونص وخمسة"

نظر لفريدة، ازدادت رجفته.

التفت سلسلة حديدية ضخمة حول عنقها، عرفها فورًا.

نفس السلسلة.

التفت حول عنقه فوق ذلك السطح، فوق السور.

أأصابها مكروه في غيابه؟! أتفكر في القفز مثله؟!

لكنها سعيدة، تحقق حلمها! سمع صوتًا أجرش غريبًا قادمًا من جانبه.

نادين: يمكن ماحبتكش أصلا، يمكن انت السبب.

جحظت عيناه، تصلبت عروقه، جفت دماؤه، أدار وجهه ببطء.

نادين، لكن تحول نصف وجهها، أصبح وجه المخلوق.

زحف وجهه، ليبتلع ما بقى من وجهها، أراد ابتلاع نادين.

لم يستطع النطق، صرخت أفكاره.

" من أنت؟! لماذا تطاردني؟!"

امتدت سلاسله، التفت حول جميع الأعناق، احترقت وجوههم، صرخوا، انتشرت رائحة كريهة.

هدأت النيران، اختفي الدخان، انطبع وجهه مكان بعض أوجههم! الباقي انطبعت أوجه مختلفة، متكررة، عرفهم، أبوه، أمه، فريدة، أصدقاؤه الخونة، دكتور عبد الهادي.

إنهم من استعدوه! إنهم السبب.

نزلت سلالم المسرح تعزف اللحن الحزين، تجمع الحضور خلفها، أحاطوا به.

لحن مزعج، تملكه الغضب.

طاردوه.

ضاق به المكان، جل ما أراده توقف اللحن.

أراد تحطيم الكمنجة، قتل الجميع ليتخلص منهم، صرخ عاليًا.

هاني: ابعدوا عني بقى، مش عاوز اعرفكوا تاني.

هرب منهم لكنهم لحقوه.

وقعت عيناه في عينيها، خارت قواه.

فتك الألم برأسه، لا يحتمل المزيد.

أدخل أصبعه في أذنيه، سدهما، مازال اللحن يتسلل له، طفيل، حقير، حشر أصبعه أكثر أملاً في توقف الصوت، خرق أذنه. سالت دماؤه.

هرب للخارج، ركض في الشوارع كسجين هارب.

طارداه كلاهما كسجان يطارد اللص الهارب، تبعهم الجمهور، لا يدرى إلى أين؟! أين يختبئ؟!

اللحن يزداد سوءًا.

لهث،، تخبط في المارة، في أعمدة الإنارة، ركض في منتصف الشارع تفاديًا للزحام.

لمح أحد المارة، بدأ وجهه يتحول، نظر حوله كالمجنون، بدأت أوجه جميع المارة في التحول.

تابع أعينهم، تتبدل لأعين باردة، أعين تركت آثارها جراحًا لا تُغفر.

سالت دماؤه من أنفه، لأعلى! إلى عينيه! نظر فوقه وجد الأرض تمشي.

طار في الهواء! صدمته سيارة مسرعة لم يرها، سالت دماؤه من كل حدب وصوب، تمردت على جسده، تركته وفرت هاربه.

أغلق عينيه، سقطت منها قطرات مياه ممزوجة بدم، ملأ صدره بالهواء البارد، أخرجه ببطء.

هوى جسده، اصطدم رأسه أولا، هربت منه دماؤه، تجمعت حوله بركة من الدماء.

وقفا فوق جسده، انطبعت نقوش أحذيتهما على البركة، تحدث كلاهما بصوت واحد.

صوت غريب: خليك تحت رجليَّ، ده مكانك الحقيقي.

تبدل صوتهما، أصبح غريبًا، خشنًا، غليظًا كأنين حيوان مفترس، جريحًا، وحيدًا.

ضحكات عالية، مرعبة.

تركوه، ليغرق ببحيرة دمائه.

○●○

استيقظ، أصابه دوار خفيف، يده مبللة! مخدرة، داخلها خلية من النمل استعمرتها، التفت حوله ببطء شديد كمن يتعافى من شلل.

اختفى الجميع، كان في غرفته على فراشه، تملكه ألم برأسه.

مجرد حلم، يقسم أنه عاشه حقًّا، تبا لهذه الأحلام، إنه على موعد مع حبيبته اليوم، نادين.

شوقي: حلم تاني؟

امسك برأسه، انزعج من ظهوره باكرا يوميا، يسبب له ألَمًا غريبًا في رأسه قبل ظهوره دومًا، طلب منه شوقي إخباره بالكابوس، رفض.

هاني: ادخل شوفه جوة مع ذكى، أكيد لسه محتفظ بيه.

شوقي: بابا ذكى.

جلس، يستعد للقيام.

شوقي: أول ما بنصحى احنا هو بينام.

مشكله كبيرة حتى أن هاني أراد سؤاله مرارًا عن أحلامه، عن شوقي.

شوقي: طب الحلم فيه نادين؟

وقف، تكلم وهو يخرج.

هاني: روح الحقه قبل ما ينام، يدوب أجهز عشان نادين، كمان عشان مااتاخرش على الشغل.

شوقي: بلاش دي يا هاني، مانعرفش أي حاجة عنها، بالعكس، كل اللى نعرفه عنها وحش.

ضحك كمن أصابه العته، هربت من عينيه دمعة، لكنه يضحك كمن غاب عن وعيه من كثرة الشرب: ترنح، ثبتت عيناه على شوقي، انفجر في وجهه صارخًا.

هاني: يعنى هما اللى نعرفهم كويسيين، اديك شايف اللي باقابلهم كل يوم، محترمين قدام أهلهم وجيرانهم، ماحدش يعرف عن اللى بيعملوه أي حاجة، غيرى أنا، هيتدبس فيها واحد حمار، مفكر إن الشرف حتة جلدة غبية ممكن تتعمل من جديد بعملية بسيطة، كله بيكدب، كله بيدعي الفضيلة، عارفين من جواهم كويس قوى إنهم قذرين، على الأقل احنا معترفين بغلطنا لبعض مش مخبيين عن بعض، مش شغالين كدب وخبث على الناس وعلى نفسنا، أنا ماكدبتش عليك، عارف أحلى حاجة في العالم القذر ده، مافيش كدب، مافيش خداع، على الأقل عارف إن نادين غلطت قبل كده، هى بنفسها قالت واعترفت بكده، ماعرفش عملت كده ليه، ميهمنيش أعرف اصلا كلنا في الهوا سوا، مافيش حد أحسن من التانى، مافيش وشوش، على الأقل الحرامي بيقول أنا حرامي، النسوانجى بيقول أنا نسوانجي، الشر واضح، والخير واضح، مش زيكم، مش زي الأذى بتاعكم، بيجي لك من أقرب الناس ليك، أبوك، أمك، حبيبك ولا حبيبتك، أنا جبت أخرى منكم، أنا قررت خلاص، أنا وحش، نسوانجى، هي وحشة، لايقين على بعض صح؟! أنا باحلم بكائن غريب مشوه مين عارف يمكن هي كمان بتحلم بيه يمكن سيطر عليها.

اتسعت حدقتا شوقي كأنه رأى شبحا للتو، سأله مرتعبًا عن حلمه!

هاني: هتصدق حلم؟ ولا هتفسره؟

أخبره أن أحلامه لها معنى، على الأقل بالنسبه له، خاصة أحلام ذكي.

هاني: روح اسأله.

أخرج هاتفه، وجد رسالة من نادين، تطمئن عليه! أخبره أنه في انتظارها.

نادين: طيب أنا في الطريق جاي لك

تفقد الساعة، ما زال الوقت مبكرًا، أخذ بعضًا من كتبه، رصها أمامه، قرأ فيها وهو في انتظارها.

قطعه صوت رسالة.

نادين: أنا في الشارع مش عارفة انهوا بيت.

أخبرها أنه سينتظرها بالشرفة، خرج، ضرب أنظاره باحثًا، وجدها حائرة كطفل صغير تاه من أمه يبحث عن وجهها بين المارة.

رقيقة، جميلة، عيناها ضيقتان، مكحلتان، بحر شرد به، صبغت بعض خصلاتها بلون بنى كأمواج بحر متمردة، كان كقرصان ماهر، يغزو تلك الأمواج لكنه اختار الموت بها، ترك نفسه للغرق ليتعلق بأحد خصلاتها، تعود له الحياة، يصارع الأمواج من أجل خصلتها.

تأخر في الرد، التفتت لأعلى، رأته، التقت أعينهم، انتفض كمن لبسه الجان، شعر بخدر في جميع أطرافه، شلت أفكاره، تلعثم كطفل يتعلم الكلام هربت منه حروفه.

تسارعت دقات قلبها كأنها في سباق، تبعتها دقات قلبه، علمت أنه هو، خافت وقوع ما لا يحمد عقباه، يجب إلا يراها أحد، الفضيلة المصطنعة، يعبدها الجميع، قانون، وجب عليهم الالتزام به، أرسلت له كي ينتظرها، صعدت السلم.

انتظرها خلف الباب، ثوانٍ معدودة شعر كأنها ساعات طويلة، قلبه مضطرب، يتراقص على إيقاع غريب، يسرع تارة، يعدو ليلحق بأعدائه، يبطئ تارة، أصابه الإعياء كمحارب قويٍّ انتصر في معركته لكنه وجد جيشًا جديدًا يهجم، عاد لقتاله، لبسالته، هجم جيش ثالث!

شوقي: أنا شفت الحلم، ماتنساش المخلوق اللى مسيطر عليها.

تجاهله! صرخ فيه شوقي، سد أذنيه.

شوقي: برضه مش هاسيبه لك يا فوبوس.

أراد تحذيره، إخباره بالحقيقة.

o●o

دخلت، أغلقت الباب، ألقت بجسدها عليه لتُحكم إغلاقه، تطمئن قلبها المضطرب، كهارب من وحش كاسر يدعى الخوف، تثقل الباب بوزن جسدها.

فوجئت به ينتظر خلف الباب، ساد الصمت، اتسعت عيناه، فتح فاه، ارتفع حاجباه، أخيرا وجد ضالته.

عيناها الضيقتان حائرتان، انكسر حاجباها لأسفل، مازال الطفل تائهًا، ملتصقة بالباب.

جذبها، احتضنها، أدخلها في صدره، وجد ضلعه الناقص، همس في أذنها.

هاني: ماتخافيش ماحدش شافك، ماحدش يعرفك هنا أصلاً.

هدأت قليلا، أسندت رأسها إلى صدره، أخذت نفسًا طويلًا ملأ أحشاءها، أخرجته ببطء، لمست رقبته، اقشعر جسده، قبلها، همست.

نادين: باحبك.

ابتسم، هدأ كجندي انتهت حربه، نفدت جيوش الأعداء بعد إنهاكه، رُفعت رايات السلام، أغلق عينيه مستسلمًا، أطلق نفسًا طويلًا.

تطاير شعرها، اقشعرت، قبلها، التفت يداها حول خصره تضمه إليها، تطلب المزيد، حملها كطفل تحمله أمه، خافت، تشبثت برقبته، تحسست عضلاته البارزة، غازلته، أبدت إعجابها بعضلاته.

أمسكت بذقنه الطويلة.

نادين: بالراحة عليَّ.

توجه بها إلى مرسي سفينته، انتظر بداخله قرصانه على أتم استعداد.

نادين: لا استني، أنا لسه واصلة وهدومي مترية من الطريق وعرق وكده، استني خمسة بس هالبس لك حاجة جايباها معايا مخصوص.

تركها، تقدم نحو السفينة قرصانه حاضر، رتب أرض المعركة، اهتم بسيفه، بالحبال التي ملأت سماء السفينة، انتظر المعركة.

تحرك ذهابًا و إيابًا بالسفينة، ضجرًا.

اشتم رائحة جميلة لم يعتد عليها، تتبعها بنظره كأنه يراها، وجدها تقف أمام المرسى، ترتدى فستانًا بنيًّا، تطاير شعرها المنسدل كعقد من الحرير، كحورية.

تقدم نحوها، حمل سيفه شامخًا، هاجمها.

○●○

انتهيا، حدقا في عيني بعضهما، غرق كلاهما ببحار، همست بخجل.

نادين: باحبك.

نظر في عينيها ليجيبها، قطعه صوت الهاتف، أجابت عينه بالفعل، كانت بارعة في قراءة لغة العيون.

أجاب هاتفه، عاد منفعلًا يركض للداخل.

هاني: يا نهار أسود، اتأخرت على الشغل.

تساءلت عن أي شغل يتحدث! كيف يعمل وهو مازال يدرس؟! أخبرها أنها سنته الأخيرة، كما أنه تدرب جدًّا قبل البدء.

نادين: انت فطرت ولا لسه الأول؟

أومأ بالنفي، أوقفته، قبلته، أخبرته أنه لن يتحرك بدون إفطار! حاولت تعديه، نسيت ملابسها! سد طريقها بذراعه مداعبًا، أخبرها أنه اعتاد أكل وجبة واحدة فقط! عادة إلى منزله، انكمش جسدها الصغير ليعبر من أسفل ذراعه الضخم بحثاً عن المطبخ، تباطأ في ارتداء ملابسه، لا يوجد في المطبخ طعام سريع التحضير، أراد التخفيف عنها.

هاني: إيه ده! بالسرعة دي؟!

نادين: مش قلت لك ماتخافش.

هاني: باحبك يابت انتِ.

وضعه في حقيبته، أعطاها قبلة وداع أخيرة، ذهب في طريقه للاستعباد.

o●o

وصل للعيادة، دخل مكتبه، أخرج طعامه، وضعه على المكتب، يتأمله، تذكر أيام صباه، تمر الأيام دون وضع شيء في حلقه، كان نحيفًا، هزيلًا، يبقى دون طعام عدة أيام؛ ليس لفقرهم لكن للدراسة! كي لا يخيب أملهم، لا يعرف شكل هذا الطعام المسمى "ساندويتش" الذى يعد بالمنزل، لم يُصنع له قبلًا! اعتاد آلام الجوع، حتى أنه لم يشعر باحتياجه للطعام؟! انقض عليه، جائعًا كطفل صغير هارب من مجاعات جنوب أفريقيا!

الاحتياج، لا نشعر به أبدا إلا بعد توفره.

شرب قهوته كروتين، اعتادها قبلًا ليخرس آلام بطنه، لكن اليوم مختلفًا، شربها لينتبه للمرضي، لشكواهم.

شعور جميل أن يهتم بك أحدهم، خاصة بعد تلك الوحدة الموحشة، رائع الشعور بحب أحدهم لك، المرة الأولى له! دوما حبه من طرف واحد.

هاني: أهلا يا حاج اتفضل.

دخل مريض، جلس على الكرسي المواجه له.

هاني: اسمك إيه يا حاج؟

المريض: علي.

أكمل فحصه المعتاد، شعر بخدر بطرفه الأسفل الأيمن، أكمل الروتين الطبيعي، نقل الفحص للدكتور عبد الهادي في انتظار وصفته الطبية ليسلمها للمريض، طلب أشعة مقطعية على ظهر المريض قبل أن يصف له الدواء.

الحاج على: أنا جاي لك انت، مش التاني.

اتسعت عيناه، جاهد ليحافظ على هدوئه، تذكر فورا الحاج سيد، ملابسهما متشابهة، لم يلاحظها قبلًا.

خاف دومًا من إخبار أحد المرضي دكتور عبد الهادي بمخالفته لتعليماته، ليصبح مصيره الطرد لا محالة.

الحاج على: أنا جاي لك من طرف الحاج سيد.

يطلب وصفة تتناسب مع فقره!

هاني: طيب بص يا حاج، اللى انت بتشتكي منه ده ممكن يكون من السكر، مش لازم يكون انزلاق، انت ماحللتش سكر قبل كده وانت يعنى جامد شوية، شكلك بتاكل سكريات كتير، وكمان عندك أعراض السكر، هتحلل سكر، لو طلع عالى يبقى خلاص مش محتاجين الأشعة الغالية، تحليل سهل ورخيص، بس قل لى هو حاج سيد فينه و أخباره إيه؟!

أخبره أنه عاد كالحصان بعدما اتبع تعليماته! تساءل هاني لِمَ لَمْ يعد مجددا ليطمئن عليه! لا توجد تكاليف للمتابعة!

الحاج على: التمريض مستغلين برضه يا دكتور.

حمد الله أنه بخير، ضحك الحج على حتى ظهرت أسنانه المكسرة.

الحاج على: دا اللى يشوفه من كام يوم مايشوفهوش دلوقتى، مين يصدق إن دا سيد! دا كان بيطلع في الروح خلاص وانت يا دكتور ردت له روحه من تانى بعد ١٠ أيام بس من الدوا بتاعك!

هاني: احنا أسباب بس! أنا مش شاطر قوى كده، أنا مش ربنا عشان أرد روحه.

الحاج على: عارف يا دكتور سيد كل ما حد يسأله على دكتور في أي تخصص يقول للناس روحوا عيادة دكتور عبد الهادي، اسألوا هناك على دكتور هاني، دا شاطر جدا وبيفهم في كل حاجة، إيده تتلف في حرير.

هاني: يا حاج على، أنا ممارس عام آه بس مش بافهم في كل حاجة برضه.

الحاج على: لا، دا انت ملاك.

خرج الحاج هاني مبتسمًا، لو علم هذا الحاج علاقاته النسائية، بوجود نادين بمنزله الآن، لقتله فورا، بل لدفنه حيًّا، أو ربما رجمه.

هاني: أنا قذر!

صرخ بداخله! شعر بمرارة غريبة في حلقه، انتابه ألم قوي في رأسه.

شوقي: مالك؟!

نظر له نظرة حائرة، صمت.

شوقي: بس انت كويس! انت انقذت اتنين فقرا من إيد جزار.

هاني: ازاى؟ ونادين، وسارة، وسالي وفريدة؟!

شوقي: مش انت السبب، حتى لو انت، انت ماأذيتش حد فيهم، انت كنت عاوزهم بجد، حتى نادين اللى معارضك عليها هي اللى جات لك برجليها، وبرضه محافظ عليها! ماحدش مابيغلطش، أنا ماشفتكش فرحان كده من زمان، حتى مع فريدة ماكنتش بتبقى مبسوط كده! يمكن نادين هي المقصودة فعلًا، يمكن تقدر تنقذها من صاحبها اللى ضحك عليها وتخليها تكتفى بيك انت وبس، أنا واثق وعارف انك عاوز كده فعلًا!

نظر للأرض، خفت صوته.

هاني: هاعمل كده فعلا، كان المفروض مايبقاش فيه سارة ونادين وسالي!

همس.

شوقي: متخليش الكائن يضحك عليك!

لم يسمعه، وصلت رساله انشغل بقراءتها.

نادين: فينك، وحشتنى.

رتب أغراضه مسرعًا، أخبرها بقدومه.

نادين: محضرة لك مفاجأة.

انطلق مسرعا كجواد عربي أصيل يأكل مضمار السباق، يسحق منافسيه، يسبق الخيول المكلومة، المحملة بسمومها، بأمراضها.

تذكر يوم كان مثلهم بطيئًا، أشفق عليهم لم يذوقوا يومًا جرعة من إكسير سحري، ربما لا يعلمون كيف تحب، وجدوا كنزا، إكسير نادر.

الحب، غذاء الروح، كاد يموت جوعًا، لم يجد حبًّا فقط، بل عشقًا.

o●o

نظر لرقم الشقة، أدخل مفتاحه في الباب، أداره، فُتح الباب، فوجئ بمنزل آخر مختلف تمامًا، تركه صباحًا كئيبًا، مليئًا بالأتربة، شباك العنكبوت تملأه في كل زاوية! أهناك أشباح تسكن معه؟! حتى ترتيب الأساس تغير.

نادين: مفاجأة.

غيرت ترتيب أثاثه، أعادت للمنزل الروح، البهجة التي افتقدها منذ سنين، أرجعت ألوانه البراقة، أضافت لمسة نسائية جميلة، عطرًا فواحًا، اختفت شباك

العنكبوت، الأتربة، لصقت ورقًا للحائط تخفى به عيوبه، لم يعلم أنها بارعة في الرسم! رسمت فوقها بعض الصور الجميلة، وردًا.

كانت الرسوم تحدثه، تتراقص على أنغام موسيقى هادئة لا يدرى من أين تأتى! تدعوه للرقص معها، التفت يداها حول خصره من الخلف، ضمته إليها، ألقت برأسها على ظهره كطفل تائه تشبث بأبيه، أمسك يديها الصغيرتين الناعمتين، قبلهما، همس:

هاني: تسلم إيدك، دي أحلى هدية، أول هدية تجي لى في حياتي، قربت اتعود أعيش وسط الزبالة.

نادين: زبالة إيه، فيه دهب يعيش وسط الزبالة؟!

نظرت نادين في عينيه، تخرج شرارًا، تتحداه، تشير له بأصبعها.

نادين: من النهارده ماحدش هيطبخ لك وينضف لك ويهتم بيك غيرى، انت بتاعى أنا وبس فاهم.

رفع يده، ضمها لرأسه، ضرب الأرض بقدمه.

هاني: تمام يا افندم، أي أوامر تانية؟

سقط أصبعها، انفجرت ضاحكة.

نادين: أيوه، ورايا يا عسكرى عشان تشوف باقى المفاجأة.

تعجب، مازال هناك مفاجأة أخرى؟! أخبرته أن الهدايا قد بدأت لتوها!

نادين: يلا بسرعة يا عسكري، أنا مجهزة لك الحمام وكل حاجة، هدومك جوة برضه.

أدى التحية العسكرية مجددًا، اتجه إلى الحمام.

دوما ما سمع أولئك المدعين، بعد الابتلاء سيكون التعويض لا مثيل له، أهي التعويض؟ شعر كأنها أمه قبل أن تكون محبوبته، دفء افتقده طيلة عمره، أسطورة يراها في الأفلام، خيال لا أكثر.

قبلها قبلة طويلة، همس:

هاني: استنى مفاجأتى بكرة.

توجه للحمام، نادين خلفه، كان أشبه بالمراحيض العمومية أرضه مليئة بالطين القذر، جدرانه مليئة بالرواسب، كساه التراب، أعطاه لونًا رماديًّا باهتًا، فوجئ به أشبه بحمامات القصور الملكية! اختفى الطين، لا تتسرب المياه من جميع الأركان، لونه ورديٌّ، ناصع! رائحته فواحة، لاحظ وجود بانيو لم يره قبلًا، مد أصبعه إليه.

هاني: ده جه منين؟! ماكنش موجود؟!

ضحكت، أخبرته أنه كان موجودًا قبلًا لكنه كان مدفونًا وسط الأتربة، أخبرها أنه ظنه نفايات!

نادين: من النهارده هتعيش ملك.

احتضنها، قبلها.

هاني: من النهارده انتِ الملكة.

انحني قليلا همس بكلمات غير مفهومة، أخبرته أن ينتظر بعد الغداء، أخبرها أنه تعوَّد تناول وجبة واحدة طيلة اليوم، كان الاستذكار أهم شيء في يومه! حتى والدته لا تفرغ لعمل طعام لهم لكن تصر على استذكارهم!

نادين: إيه ده، دي أمك ولا مرات أبوك؟!

ضحك، تنهد ببطء.

نادين: يا قلبى من النهارده مافيش الكلام ده، هتاكل ال ٣ وجبات كاملين.

عاد لتحيته العسكرية مجددًا.

نادين: بمناسبة المذاكرة صح، مش قلت لى عندك امتحانات الأسبوع الجاى؟

هتذاكر امتى بقى؟

هاني: مش هاعرف اذاكر وانتِ في بالى كده.

كسى الاحمرار وجنتيها، إشارة له للذهاب ليستحم، قام بتحيته العسكرية.

نادين: يلا انصراف يا عسكري.

استدار، تحرك للأمام كجندي للمشاة، دخل الحمام.

بدأ سباقه كمسافر عبر الأزمان، قطع الأشواط عدوًا ليصل إلى غايته في وقتها المحدد، تمنى لو امتلك آلة للسفر عبر الزمن لينهي الروتين البطيء الممل لتعود عيناه لمغازلتها.

ترك الباب مفتوحًا ليسترق النظرات إليها! بدأ في ارتداء ملابسه، وجدها لا تناسب المنزل! قميص أبيض اللون، بنطال أسود، أغلقت أضواء المنزل جميعًا عدا الحمام، ظهر ضوء شموع خفيف تسرب لشقوق الباب، هرب بحثًا عنه تحديدًا، وجد جميع المعطرات الخاصة به وأدوات الحلاقة أمام المرآة! فهم مرادها، موعد غرامي على ضوء الشموع، قص ذقنه الطويلة قليلا، تعطر بعطره المفضل، ارتدى قميصه، خرج.

أضاءت شمعتين، جلست خلفهما ارتدت فستانًا جريئًا، تعلق بكتفها بخيط رفيع، ضيق، قصير، يبعد عن ركبتيها أميالًا، أسود اللون يبرز بياض بشرتها، أعطاه ضوء الشموع لمعة يمكن للكفيف رؤيتها.

هاني: طب لفى كده.

استدارت دائرة كاملة، أطلق صافرة عالية.

نادين: حلو؟!

هاني: حلو دي كلمة قليلة، انتِ ملكة جمال يا روحى.

جذبت يده كأم تجذب طفلها الصغير خلفها، أجلسته على كرسيه، وقفت بجواره، أزالت الغطاء عن الأطباق التي رصتها بطريقة احترافية.

هاني: مكرونة بشاميل وكفتة، عرفتِ منين انى باعشقهم؟!

نادين: إحساس، عاوزنى ماحسش بقلبي؟!

هاني: أنا قلب القمر اللى واقفة قدامى دي؟!

احمرت وجنتاها، نظرت لأسفل.

نادين: بطل سفالة يا سافل، ماتعاكسش.

غمغمت بصوت تسمعه بصعوبة

نادين: عاكس براحتك يا قلب القمر.

هاني: إيه ده، بسهولة كده؟!

نظرت في عينيه.

نادين: اعمل إيه بقى، مش قادرة أقاوم القمر اللى قاعد قدامى.!

ارتفع حاجباه.

هاني: بتعاكسينى.

نادين: آه يا قمر انت، عندك مانع؟

هاني: وأنا أطول.

وضعت قليلًا من كل صنف أمامه، انشغل بمراقبتها كملاك سقط في منزله، شعر بالأمان، أخرج زفيرًا طويلًا كتمه داخله! تنفس الصعداء أخيرًا.

لمعت فكرة في رأسه تبدو مجنونة لا توجد أمسية رومانسية دون موسيقى، أمسك بهاتفه، أدار موسيقى تانغو، يراقبها وهو في انتظارها لتنهى طعامها.

وضعت ملعقتها جانبًا، جففت شفتيها، وقف، تقدم إليها، مد يده.

هاني: تسمحي لى بالرقصة دي؟

أمالت رأسها بالموافقة، مدت له يدها.

كان ماهرًا في الرقص، كانت هوايته، فضل رقصة التانغو.

الرقص ملاذه وقت الأزمات، وقت السعادة.

لا تعرف رقصة التانغو، علمها، ارتدت حذاءً ذا كعب عالٍ، تعثرت كطفل صغير يتعلم المشي للمرة الأولى، خاف عليها قد تؤذى قدمها، غير الرقصة، موسيقى هادئة، التفت يده اليمني حول خصرها، اليسرى أمسكت بيدها، أخذتا تتحركان في الهواء كيدٍ واحدة، يدها اليمني تعلقت برقبته، تحركا جيئة وذهابًا كأنهما يملكان قدمًا واحدة، رقصة شاعرية عرفها المحبين منذ فجر التاريخ، "سلو"، اشتهرت بالبطء، مما أتاح تلاقى الأعين فترة طويلة، سمح لها بقول كل ما في جعبتها، ضاع في عينيها الخضراوين، احتضنتاه، عاتبتاه، تسألانه عن غيابه الطويل.

لماذا ظهرت متأخرًا؟! أين كنت طوال هذه السنين، لماذا تركتني أمر بكل هذا العبث؟! لماذا تركتني فريسة سهلة لذلك الأحمق المُدعي؟!

شردت في عينيه البنيتين تطمئنهما تارة تخبرهما ألا تقلقا، لن يبرحا جانبها طوال عمره، لن يتركاها لتكون فريسة مرة أخرى، أنتِ في مملكته، أنتِ ملكتها.

تبدو حائرة تارة، معاتبة، حزينة، تتذكر ماضيها المؤلم، العبث!

حاول جاهدًا إخفاء اضطرابه لكن عينيه كانتا كفيلتين بفضحه، أدركت اضطرابه سريعًا، ألقت برأسها على صدره، ضمته إليها بكلتا يديها، أغلقت عينيها، همست.

نادين: ماتخافش، من النهارده لقيت الأم والأخت والحبيبة، اقفل عينك كده، اسمع صوت الموسيقى، شايف اللي انا شايفاه؟! زى مانكون بنمشى على كمانجة.

ضمها، ربت على رأسها بحنو، أغلق عينيه، همس:

هاني: لا، احنا بنرقص على أوتارها.

أمسك بيدها، اتجه لمرساه، سفينته! ظهر قرصانه.

لم يكن محاربًا، لا توجد سفينة، دق البحر حصون سفينته، تسلل داخلها، غرقت! استسلم للأمواج تتقاذفه على هواها، أجاد السباحة، يستطيع النجاة بسهولة، لكنه أحب الأمواج! أحب الغرق فيها، ترك أنفاسه تذوب، تندمج في الأمواج، تباطأت أنفاسه لتملأ الأمواج رئتيه، غطت رأسه، رفع يده عاليًا، يودع السماء، نجومها التهمته تدريجيًا تبقى منه بضع السنتيمترات، تحولت الأمواج، أًصبحت خصلات شعر التصقت بيده، دعته للتشبث بها، أرادته على قيد الحياة، تشكلت موجة خلف يده ضربت ظهر يده، أحكمت إغلاقها على الخصلات! دبت به الحياة مجددًا، فتح عينيه، طفا ملأ رئتيه بالهواء، قبلته

الأمواج، تركته يمتطيها دون مجهود، اعترفت بمهاراته، وافقت على ذوبانهما، امتلك قوة الأمواج في قبضته.

تمدد كلاهما يلتقطان الأنفاس، لامس شعرها، مرر يده على خصلاتها.

أخبرته أنها متعبة، أرادت النوم، تركها، لكنها أرادت البقاء معه، أخبرها أنه سيبقي قليلًا ليدرس كما وعدها، ثم يخلد للنوم بجوارها.

نادين: هتعرف تذاكر دلوقتى!؟ وانت نعسان كده؟!

أومأ بالإيجاب، همت لتحضر له قهوة، أمسك بيدها مسرعًا.

هاني: استنى بس، مش عاوز حاجة بأمانة، كده كده هانام كمان شوية فمش عاوزة أسهر.

أحضر بعض كتبه، عاد ليجدها ملقاة كأحد قتلى القرصان القبطان، نال منها التعب، سقطت مكانها، لم تنتبه لعدم ارتدائها أية ملابس، خشى إصابتها بأحد الأمراض، ألبسها دون إيقاظها كدمية صغيرة بيديه، ساعدته تمارينه، كما أن وزنها ضئيل.

جاء بأغطية قطنية وضعها على جسدها الناعم، بدأ في استذكاره، حقق هدفه في وقت قياسي، تعجب من سرعته! اعتادها لكن اليوم مختلف، كالرعد في سرعته، تأثيرها أفضل من تأثير عشرة أكواب قهوة.

استلقى بجوارها، احتضنها، كنز ثمين يخبئه في ضلوعه، غط في نوم عميق.

o●o

فتح عينيه ببطء، نظر بجواره، يلقى نظراته الأولى على كنزه الثمين، وجد شوقي مكانها، التفت حوله.

هاني: حلم؟

شوقي: لا.

التف شوقي ليعطيه ظهره، تعجب شوقي من غياب أحلامه!

هاني: روح اسأل ذكى.

شوقي: آخر مرة شفت بابا ذكى امتى؟!

رفع كتفيه يشير إلى عدم علمه، امتعض شوقي، نصحه برؤيته في أقرب وقت، كان مريضًا للغاية!

هاني: يارب يموت عشان اخلص، كفاية انه طلع لك.

صمت برهة، التف ليواجهه.

هاني: تعبان عشان كده مافيش أحلام يعنى؟

شوقي: بالعكس، تعبه يكتر أحلامك.

انتفض واقفًا.

هاني: باقول لك إيه مش ناقصة ألغازك دي على الصبح، فين نادين؟

أخبره أنها في المطبخ، اتجه إليها.

شوقي: قرب يموت.

o●o

وجدها واقفة، احتضنها من الخلف، التفتت برأسها، ابتسمت.

هاني: إيه النشاط ده كله، اللى يشوفك النهارده مايشوفكيش امبارح لما نمتِ مكانك من التعب.

نظرت له، لمعت عيناها.

نادين: أنا مش فاكرة نمت امتى امبارح أصلًا، آخر حاجة فاكراها انى كنت هاقوم اعملك شاى أو قهوة علشان تركز وبعدين انت قلت لى لا.

ابتسم، أخبره أنه عاد بعدما أحضر كتبه ليجدها غطت في نوم عميق، ألبسها خوفا عليها، وضع بعض الأغطية عليها.

ازدادت لمعة عينيها، احتضنته، أحكم قبضته عليها، قبلها.

نادين: يخرب بيتك، انت مابتتهدش؟!

ظهر القرصان القبطان دون سفينته، لم يعد في حاجة إليها، امتلك قوة الأمواج، امتطاها كفارس يمتطى جواده العربي الأصيل، تقلبت لتتقاذفه، أحضرته لأماكن لم يرها قط! جابت به أرجاء البحار، أعماقها، التفت الأمواج على بعضها لتكون أنبوبة بداخلها، أفرجت عن أسرارها، رأى بأعماقها شعابًا مرجانية، أسماكًا غريبة، جزرًا عجيبة المنظر، أشجارها زجاج..

انتهت جولته، ذاب داخل الأمواج، اختفى.

اتجه للحمام، تركها لتنهى الطعام.

انتهي، خرج، وجدها تنتظره على الطاولة، رصت الأطباق، ابتسمت فور رؤيته، قبل يدها، نفخت بها، تلقاها بيده، طبعها على قلبه.

تساءلت عن عمله اليوم، كانت أجازته، أخبرته أنه يوم تعويض مذاكرته.

هاني: سيبك من المذاكرة خليها بالليل، دلوقت خلينا فيك انت يا جميل.

برزت عيناها.

نادين: يخرب بيتك، انت مابتتعبش؟!

ضحك، عاد يداعبها، تغيرت نبرتها فجأة، رفعت حاجبيها.

نادين: عندى لعبة حلوة، هاسيب لك نفسي خالص بس بعد ما تذاكر شوية حلوين، لو ماذاكرتش مش هتلمسنى.

عقد حاجبيه معلنًا قبوله التحدي.

o●o

أعجبه ذلك اللون، أراد ممارسته مرة أخرى، شعر بقوته، نافذة يعبر بها عن غضبه، مخدره الذي أدمنه.

أحضر كتبه، عاد لسفينته، كره المكتب، لا يجلس على كرسيه إلا إذا كان مضطرًا، غطت كتبه سطح السفينة بأكمله، اجتهد قرصانه في الدراسة.

وضع نظارته على السفينة مسترخيًا قليلًا يلتقط أنفاسه، انتهى من سباق الألف ميل، دخلت الغرفة...

نادين: ها عملت إيه؟!

ابتسم، غمز لها، لمعت عيناها، ارتفع حاجباها، أمسكت بكتبه، تفحصت الكتب بتمعن، شهقت.

نادين: خلصت كل ده بسرعة كده؟!

ضحك، اقترب منها، انتفضت هاربة.

نادين: عاوز مكافئتك، الحقها بقى.

خرج متباطئًا خلفها كأسد خرج من عرينه، محارب عائد لوطنه منتصرًا، خرج القرصان القبطان يطارد الأمواج، أفلتت من بين أصابعه، تمكن منها! تسارعت أنفاسها، تنتظر مفاجأة القرصان، أخرج القرصان حزامًا تمنطق به ليثبت سيفه، ارتجفت الأمواج، سالت! بل تجمدت، صلبه، أصبحت جليدًا.

نادين: باحبك قوى.

قالتها بصوت خافت، احمرت وجنتاها.

هاني: كنت مفكرك هتضايقي من المفاجأة.

نادين: لا بالعكس، دا المرة دي كانت أحلى مرة.

ارتمت داخل أضلاعه كطفل صغير، قابل أبوه بعد طول اشتياق، احتضنها، قبلها.

هاني: من النهارده كل مرة هتبقى زي المرة دي.

نظرت مطولًا في عينيه، رأت نفسها داخلهما، يحتضنها أبوها، يضمها بذراعيه ليحميها من الأعداء الذين التفوا حولهم، لكنه متمسك بها غير مبال بما يصيبه من جروح! نزف من كل جهة، تمزق في كل ثانية، أراد حمايتها فقط، غير مكترث بمصيره.

قبلته، همست:

نادين: باعشقك يا بابا.

تهامسا بكلام غير مفهوم.

نادين: أنا زهقانة، ماتيجى ننزل؟!

هاني: قومي نلبس يلا.

اتسعت عيناها، فرحت بهدية والدها، قفزت خارج السفينة كبحار ماهر، ارتدت فستانًا ورديًا به بعض النقوش الخفيفة مناسبًا للمكان الذى اختاره ليقضيا به أمسية جميلة، في عزلة عن العالم.

نادين: هنروح فين؟!

هاني: الكورنيش.

نادين: زحمة قوى.

هاني: زي حالاتي، باكره الزحمة موت.

أمسك بيدها، خرجا، عقدت حاجبيها معترضة، نظر لها، رأت عينيه هادئتين، مطمئنتين، واثقتين، ينطلق الشغف منهما كأشعة خارقة للطبيعة تراها في عينيه،

انتظرت بفارغ الصبر، قتلها الفضول، تسأله في كل ثانية عن وصولهما، أخذ الطريق سنين طويلة، وصلا، احتارت، تلفتت في كل اتجاه، أين المفاجأة؟ لم يتوقف، كادت تصطدم بالعربات المارة لتعجلها، لا يرى المارة من حوله، انصبت عيناه على اتجاه واحد، المرفأ.

○●○

هل ابتسم له القدر أخيرًا، أم خبأ له التعاسة، تركه حيًّا فقط ليعبث به كقط يعبث بفأره قبل التهامه.

وصلا لمرفأ لتأجير الزوارق الصغيرة، عبثت بشعرها، أهذه هي المفاجأة؟! لِمَ بدا عليه كل هذا الحماس؟! من أجل زورق صغير؟! أخبرها بأنه سيعود سريعًا، ذهب في اتجاه أحد البحارة، شيخ عجوز أكل الزمان وجهه كأنه واجه وحشًا مفترسًا لا يعرف الرحمة لكنه نجا، عرف هاني على الفور، بدأ بتجهيز زورق صغير دون كلمة واحدة!

عاد لها يمد يده نحوها ليساعدها على تسلق هذا الزورق، ترددت للحظة، أرادته هو فقط، لم ترد البحار الكهل معهم، التقت أعينهما لبضع لحظات، رأت فيهما إصراره، شعرت بثقته، شعرت بأذرعه تلتف حولها مجددًا لحمايتها، تقدمت بثقة، صعدت الزورق، تركهم البحار وحيدين.

نادين: هو الراجل راح فين؟!

رد وهو يجهز المجداف.

هاني: مش ماكنتيش عاوزاه معانا؟!

اتسعت حدقتا عينيها، كيف عرف، أصدرت صوتًا لكنه قاطعها.

هاني: ششششش، ماتخافيش، أنا حافظ الطريق كويس.

هدأت، استكانت روحها بين ضلوعها، جلست أمامه، تحدق في عينيه، قررت خوض المغامرة، لِمَ لا؟ فارسها المغوار ذو الحصان الأبيض جالس أمامها، يتمنطق بحزامه الجلدي اللامع، يتدلى منه سيفه ذو الأنصل الحادة، تقطع الأخطار إربًا، أليس القرصان القبطان المغامر؟

قبضت على يده، خافت سقوطها للمجهول، التصقت به، تقدمت بضع خطوات، كادت تسقط لولا يد فارسها المغوار، أنقذها كما المعتاد، جلست بجواره، ارتمت بين ضلوعه كطفل صغير، أبحرا بعيدًا حتى اختفى الزورق.

نادين: من امتى وانت بحار كده؟!

غمز بعينه اليمني.

هاني: دا أنا قرصان قديم.

نادين: طيب مش هنقف شويه بقى؟!

هاني: لا لسه ماوصلناش.

ترك التجديف، غمس يديه في المياه، غرف بعضها بيده، القى بهم عليها، ضحكت، إلقت مياه عليه، ابتلت ملابسهما، وقفا كلاهما في وجه الآخر، التقت

أعينهما، توقف الزمان، رأت بحرًا هائجًا تضاربت أمواجه داخل عينيه، قرصان قبطان سكن الأمواج، هادئًا، مطمئنًا، متأملًا جمالها، تأمل عينيها، تزينها قطرات المياه، تعكس أشعة الشمس لتعطيها لمعة ساحرة.

هاني: شكلك كده أحلى.

ضحكت، نظرت للأسفل.

نادين: وأنا منكوشة كده ومليانة ميه؟!

هاني: أه، أحلى حاجة شعرك المية خلتك أحلى.

خجلت، خبأت وجهها، كان للأمواج رأي آخر! اصطدمت بالزورق الصغير، فقدت توازنها، ترنحت يمينًا و يسارًا، بحثت عن شيء تتشبث به، سقطت!

o●o

أغلقت عينيها، شعرت بالرياح تداعب وجنتيها وهي تهوى، كانت السعادة غامرة، إنها النهاية! القدر اللعين، حبست أنفاسها استعدادًا للموت المحدق، السابح فوق تلك الأمواج، ضمت ذراعيها إلى صدرها، ارتفع كتفاها، شدت بطنها للداخل كأن دوامة كبيرة سحبت أمعاءها، هيأت جسدًا لتلقي الصدمة، انتظرت آخر أنفاسها.

لم تشعر بأي صدمة.

دفعتها الأمواج للأمام، بين كفيه! حثتها على الاقتراب دون خجل، فتحت عينيها ببطء لتجد نفسها بين يديه، شردت في عينيه، احتضنها، يطمئنها، لا يطمئن نفسه أولًا، لا يدرى ما عساه يفعل دونها، قد يفقد عقله.

قبلته.

نادين: النيل عاوز كده.

رأت الذعر في عينيه، انتشلته منه، ضحكت، جرت لتجلس في مكانها السابق، ثبت مكانه، لا يستوعب ما حدث للتو.

فوجئت بجزيرة صغيرة تتوسط مياه النيل خلابة المنظر، ألوانها زاهية، بها الكثير من الشعب المرجانية، امتلأت الشواطئ بحجارة غريبة متنوعة الألوان، أرضها صخرية تملأها الكهوف الصغيرة، يأتي منها صوت خافت، عذب.

نادين: الله، إيه الجزيرة دي؟

هاني: أهلا بيكِ في المخبأ، المكان ده بيتي التاني، المخبأ الخصوصي بتاعى، دايما أهرب له في أي وقت.

نادين: جميل قوى المخبأ ده.

لامس الزورق شواطئ الجزيرة، قفزت خارجه، ركضت في أرجاء المكان كطفل يلهو في حديقة والديه، تفقدت أرجاء الجزيرة بالكامل، اشتمت رائحة الزهور الغريبة، دخلت الكهوف، صرخت عاليًا، سمعت صدى صوتها.

نادين: سامع؟! البحر بيكلمني.

نظرت خلفها، ضحكت على دعابتها، رفعت كتفها، ركضت.

كان يوضح لها معالم الجزيرة وهو يمشي خلفها حتى وصلا لصخرة مميزة عالية، عشقها! صعدها، مد يده ليساعدها كأميرة تتعثر في ثوبها ليسند يدها الأمير وهي تتسلق الجبال، جلسا معًا يستمتعان لذلك الصوت العذب، هزت قدميها المتدليتين.

هاني: دايما لما ابقي مخنوق آجي اقعد كده، اسمع لصوت العزف ده.

تساءلت عن مصدر الصوت، كان مزيجًا من الرياح داخل الكهوف الصغيرة، وصوت الأمواج.

نادين: انت بتسمع غلط.

وقفت فوق الصخرة، بسطت يديها تداعب للرياح، أغلقت عينيها، رفرفت بيديها كطير يحلق عاليًا، لن يلمس الأرض ولو لمرة.

احتضنها من الخلف، أخفي عينيها بيده، التفتت إليه، تأمل عينيها.

هاني: بصي جبت لك إيه.

نادين: الله، حلوة قوى.

كانت قلادة مصنوعة من صخرة زرقاء، شفافة، يتخللها خيوط بيضاء كريستالية على شكل عصفور صغير مد جناحيه ليحلق عاليًا، تستطيع رؤية خصلات ريشه المتطايرة.

نادين: جبتها منين دي؟!

ألبسها القلادة، أمسكت العصفور بقبضتها تقفز لأعلى وأسفل، تخرج أصواتًا رفيعة.

هاني: كل لما باقعد هنا بافضل أشكل في الصخور دي،

أمسك يدها بعد أن أغلق القفل على رقبتها بصعوبة بسبب حركتها.

هاني: تعالي أوريكِ الباقي.

دخل إلى أحد الكهوف، يسحبها خلفه، شهقت متعجبة من شكل الكهف.

مثل وكر قديم لأحد الأجداد البدائيين، جدران مملوءة بالرسوم، صخوره كراسي، انتشرت به الشموع.

أراها قلائد وحليًّا، صنعت بمهارة عالية ودقة متناهية من نفس الصخور العجيبة، تفاصيلها واضحة كالشمس، صنعها بنفسه!

إحداها على شكل بركان تطاير منه الحمم، آخر على شكل غراب أسود، آخر على شكل نغم موسيقي.

وقعت عيناها على قلادة شخص يقف بظهره، عرفته جيدًا، كيف عرفه هاني؟!

انقبض قلبها.

أيعقل أن يكون، لا، لا، إنها صدفة، اقتربت ببطء منها، مدت يدها، لمستها، ارتجفت، أدارت وجهه نحوها، صعقت، إنه هو، كيف عرف شكله؟! دخل أحلامها، لا يعرفه أحد غيرها، لا يعرف أحد أنه معها الآن؟! يقف أمامهم، يحاول إحكام قبضة سلسلته الحديدية على رقبته، لكنه لا يقدر.

تعجبت، تحسست سلسلتها المحكمة منذ سنوات عديدة.

نادين: عملتها ازاى؟! دا حتى مافيش أي أدوات هنا؟!

عيناها شاردتان في المسخ.

أشار لعصا صغيرة، هزت رأسها متعجبة.

خرج، اتجه للشاطئ، التقط إحدى الصخور الغريبة من داخل المياه، أعطاها إياها.

تفاجأت حين انسحقت الصخرة بين أصابعها.

هاني: الصخور دي غريبة، طول ما هي في المية بتبقي لينة وسهل نحتها، أول ما تنشف في الشمس شويه تبقى أنشف من الحديد.

تمنت لو استبدلت القلادة الجميلة تلك السلسلة الحديدية اللعينة.

نادين: شكلها حلو عليَّ؟!

هاني: هتاكل منك حتة.

نادين: بس اشمعنى عصفورة بتطير؟!

أخذ زفيرًا عميقصا، أمسك بالقلادة.

هاني: بتعبر عن الحرية، عاوزك دايما بتطيرى زي العصفور ده، زي لما كنتِ على الصخرة من شوية، دايما مالية عليَّ دنيتى.

أمسكت بيده، نظرت في عينيه، هربت نقطة مياة صغيرة من عينيها، كتمتها حتى لا يراها، أرغمتها على الهروب داخل أحشائها.

نادين: نفسي أطير، مش عاوزة أسيبك خالص، ولا أسيب البيت.

هاني: ياريت، لو لغاية الامتحانات بس.

هربت نقاط مياه كثيرة، منعتها جميعا، هربوا للداخل.

نادين: هحاول أزود الأسبوع شوية، لغاية امتحاناتك على الأقل.

سرت الدموع بمجري أنفها.

هاني: انتِ جالك برد ولا إيه؟!

هربت من أمامه لم ترد أن يلاحظ دموعها، جلست على الصخرة تراقب الغروب، جلس بجانبها بهدوء، احتضنها، استرقت النظرات لوجهه.

هاني: يلا بقي نطير، اتاخرنا وصاحب المركب هيطيرنا احنا الاتنين.

نادين: ماشي بس عاوزة آخد ورد معايا من هنا، ريحته حلوة، ونتمشي شوية على الكورنيش.

انتقت الورد، عادوا مسرعين للشاطئ، ذهب لتسليم الزورق، سبقته هي لمحل زهور قريب، خرجت، ممسكة زهرية صغيرة.

نادين: علشان الورد، هنحط له مية بسكر، ماتنساش تغيرها كل يوم بقى، هازعل منك لو ماتوا.

o●o

استيقظ في صباح آخر يوم قبل اختباره لم ير شوقي في انتظاره، أتركه أخيرا؟

تذكر المرة الأولى التي ظهر بها، كانت المرة الأولى التي يجد فيها مخبأه.

كان معهم في الزورق، اختفى فور أن وضعت قدمًا في الجزيرة.

أصبح نومه هادئا، اختفت الأحلام المؤرقة.

شعر بمرارة غريبة، افتقد شوقي على غير عادته، تمنى داخله لو بقي.

اتجه للمطبخ، كانت نادين تحضر طعام الإفطار كعادتها، احتضنها، قبل كتفها مداعبًا.

نادين: النهارده آخر يوم قبل الامتحان، مش هتقرب منى إلا لما تخلص مذاكرة، مش عاوزة أعطلك، عاوزاك تقفل الامتحان.

أومأ رأسه بالموافقة.

نادين: هو انت لسه سايب التطبيق اللى اتقابلنا عليه؟!

أومأ بالإيجاب، عقدت حاجبيها.

نادين: بتكلم مين عليه يا بيه؟!

ارتفع صوته معاتبًا، تساءل أنسيت أنها لم ترد أن تعطيه رقمها؟!

نظرت في الاتجاه المعاكس، عقدت يديها كالأطفال.

نادين: ماخوفتش.

توجه لغرفته ليكمل دراسته، أراد الانتهاء سريعًا، أكل التوتر رأسه، غير قادر على الاستيعاب، تفعل ما بوسعها لتخفف من توتره، لم يرد إحباطها، أخفى

توتره، لكنها شعرت به بقلبها، كطير صغير محبوس في قفص حديدي تعيس، ليس بيده حيلة، غردت عاليًا.

نادين: خلصت؟

رد بصوت متقطع، متعب، أخبرها أنه يراجع بعض الأشياء.

نادين: مش كنت بتراجع أصلا؟

أومأ برأسه صامتًا.

نادين: تعالي ننام كفاية كده، حتى عشان تصحى فايق للامتحان.

هاني: مش هاقدر أنام.

نظرت للأرض، تفكر في حل.

نادين: طب تعالى نروح سينما قريبة، وكمان فيه فيلم حلو، ساعتين ونرجع تنام على طول.

قفز من سفينته متحمسًا، ارتديا ملابسهما بسرعة، ذهبا أملا في بعض الهدوء.

في منتصف الفيلم، رآه هاني داخل الشاشة، أهذا حلم؟! قرص يده لعله يستيقظ.

ليس حلما! يحملق فيه، يحدق في عينيه، كمن يتوعده.

رأى نفسه بالشاشة، زحفت السلسلة على جسده، تسلقته، وصلت لعنقه، التفت حوله، وصلت لمنتصف الطريق، كادت تحكم إغلاقها.

شعر باختناق أنفاسه، لمس عنقه بحثًا عن إجابة! وجدها تزحف ببطيء.

لاحظت وجوده أيضا، رأت نفسها في الشاشة، تحكم بها كأنها لعبة، أغلق سلسلته، قررت محاربته، إنها ذلك العصفور الحر الطليق لن تستسلم بسهولة مجددًا! انتفضت لتقف في مكانها محاربة، مد يده بها السلسلة نحوها، انطلقت مسرعة في اتجاه وجهها، هربت من عينيها دمعة، علمت ما سيحدث، أغلقت عينيها منتظرة مصيرها! اصطدمت السلسلة بوجهها أسقطتها اللكمة لتجلسها من جديد، تورمت عيناها، شعرت بضعف مفاجئ سرى بأطرافها، استنجدت بفارسها، قرصانها المحارب، سبقتها السلسلة، المرة الأولى التي تراه بهذا الضعف، لم تعهده منكسرًا، لم تر ضعفه أبدًا، كيف يستسلم بتلك السهولة؟! هو من علمها القتال! إلا يوجد مخلص من ذلك المسخ، يختنق من تلك السلسلة الصدئة، حاولت مساعدته بكل جوانحها، لم تقدر، أصرت على المقاومة بكل ما أوتيت من قوة، لمست قلادة العصفورة تلك السلسلة الصدئة، هربت! تراجعت لمنتصف عنقها بعد أن أحكمت إغلاقها! لمعت عيناها، ساعدها! نظرت إليه، وجدته كما هو، اختنق بسلسلته، شارفت أن تحكم إغلاقها، أهذا ثمن حريتها؟!

نادين: قوم، ماتستسلمش، اعمل حاجة ماتضيعش كل ده على الفاضي.

اختفي صوتها.

رددت تلك الكلمات لعله يشعر بها، لم تصدر صوتا واحدا! تحكمت السلسلة بصوتها، أختنق مكانه، لم يسمع صراخها الداخلي، صرخت عاليا كالمجنونة،

دقت حصونه بيدها لعلها تنكسر! ضربت الحائط الحديدي الصلب، تذهب من حائط لآخر، تصرخ، دون جدوى.

شارفت السلسة على إحكام قبضتها.

غرزت أظافرها في الحائط، محاولة أخيرة، تكسرت أظافرها، انزلقت لتسقط أرضًا.

ظهر أحد أمامه، وقف معطيها ظهره، بدا مألوفًا لها، ارتدى درعًا قديمًا لامعًا، تدلى من خصره سيف طويل ذو ضوء مشع، التفت حوله حلقات نيران، انتشرت رموز غريبة في درعه.

التفت لهاني، نظر لنادين فجأة، توقف قلبها، عرفته جيدًا! تخلت عنه مسبقًا، رفضت مساعدته! تركته لتقع فريسة سهلة للمسخ الحقير.

اندفعت السلسلة في اتجاه نادين، لمحها بطرف عينيه، يحتقرها.

لاحظ السلسلة الحديدية، توقفت في المنتصف.

المخلوق: لا بأس، خادمتي المطيعة ستمكنني من عنقه بالكامل.

نظر في عينيها، عيناه تسألها أهذا خيارها؟! التف لهاني، يخبرها مصيره بيدها! فارسها يحتاج لمساعدتها، أرادت إنقاذه لكن كيف؟! عبدة لا تملك حريتها، لا تقدر حتى أن تحذره.

كثرت دموعها، تذكرت ماضيها، هزيمتها على الرغم من قوتها، لم يستطع هزيمتها! كان المحارب في صفها، يمدها بالقوة! تذكرت أخباره أنها لا تريده،

ستهزمه بمفردها برفقة ذلك المخادع الذي تركها! تمكن من إحكام غلق السلسلة، أصبحت حياتها أشبه بحياة العبيد، لا تحرك إصبعا بدون إذن، تمنت لو عادت بالزمن، ما تركته لحظة واحدة.

نظرت له، يكرر نفس أخطائها! استغلها ليجد ثغرة يكسر بها قرصانها.

حمقاء، ظنت أنه يمكن هزيمة الملعون بدونه، أكذوبة استخدمها ليسيطر عليها، يستخدمها عينيها ليسيطر على قرصانها.

انتظرها الفارس، لم تقوَ على النظر إليه، شعور الخزي يعتريها، كأنها تقف مكبلة بالأغلال، أمام جمهور عريض يدقق في أجزاء جسدها العاري.

انتهى أمر هاني، حبيبته السبب، مصدر أمانه الوحيد، الوحيدة التي علمت مكان مخبأه، سره، نقطة ضعفه.

انتفضت، أرادت التخلص من كل ما يجرى حولها، أرادت الحرية.

تقدم الفارس نحوها، بسط سيفه تجاهِها.

الفارس: المسي السيف فقط.

قاومت بسجنها الداخلي! زحفت على بطنها تحاول الوصول لخلاصها، بعد السيف عنها أميالًا، اقتربت، بسطت يديها لتلمس السيف، كادت تفعلها، بقي بضع سنتيمترات.

بسط فوبوس يده، اتجهت السلسلة نحوها، اصطدمت بوجهها، طارت مئات الأميال.

فوبوس: عودي مكانك أيتها الخادمة.

تورم وجهها، نزفت دموعها، عادت لزحفها، امتلأ جسدها بالدماء، تشقق بطنها، نزف ذراعها، اقتربت.

داهمتها لكمة أخرى، تبعدها مجددا.

فوبوس: لا تحاولي، انتهت معركتك بالفعل، انتِ خادمتي الآن، أتريدين كسر ذراعك كي تتذكري؟!

ذُعرت، تكره أصابتها بمكروه، توقفت مقاومتها، زحفها! استكفت ببكائها

نادين: آسفة يا هاني، انت أصلا مش هتقدر عليه، أرجوك سامحنى.

نظر لها، أعاد سيفه لغمده.

الفارس: حقا أساءت الاختيار، لو كان مكانك لما استسلم حتى لو هُدد بكسر عنقه، تخافين من مجرد ذراع، أحمق، يخلص من لا يستحق، من باع نفسه وشرفه بفتات لا تذكر، دوما فضل الآخرين على نفسه، انشغل بخلاصك حتى نسى خلاصه، لكنك فضلتِ أن تظلي خادمة، لهذا لن أتركه؟ هذا وعد منى.

اختفي، بعد أن رفضته، انتفضت يد فوبوس تجاهها، انطلقت السلسلة نحوها، سددت لها ضربات حتى تمزقت ثيابها، بالكاد تستر جسدها، كعاهرة، بقي القليل لتنكسر سلسلتها، عادت تلتف حول عنقها بالكامل! أحكمت إغلاقها، ارتعشت! وجب عليها تنفيذ أوامره! فقدت السيطرة بالكامل، تحركت يداها

دون علمها، حاولت إيقافها، لم تقدر، جرت دموعها كشلال، أغرقت وجهها، أخرجت يدها الهاتف، فتحت ذلك التطبيق، نفذت أوامره! حظرت هاني.

ندمت، تيقنت أنه يستطيع كسر تلك السلسلة، عرفت أنه السبب بفرصتها الثانية، ليتها استمرت في المقاومة قليلا فقط، ليتها تحملت بعض الآلام.

○●○

انتهى الفيلم، عادت السينما لطبيعتها، تشبث بيدها طلباً للأمان، ظهر المخلوق بدون أحلام، أين شوقي حين تحتاجه؟!

شدد قبضته، طلب المزيد من الأمان، لم يلاحظ ما بعينيها المتحجرتين، ابتسمت ببرود، كثعلب يربض ليهجم على أحد الأرانب.

ضربهم تيار هوائي بارد، سرت بجسده القشعريرة، التفت لها، ارتدت ملابس خفيفة، كما هي! باردة، متحجرة! وقعت عيناه على شيء مضيء في أحد الزوايا، بداخل أحد الأزقة، دقق النظر، اختفي، لمح ظلا يعبر الزقاق المقابل، ظل ذيل، لم يتحققه جيدًا، لعله قط.

رآه مجددًا في الجهة المعاكسة، نفس القط؟! عاد إلى الزقاق الأول! لم يكن خيالًا واحدًا، بل اثنين، بدا الثاني كسلسلة حديدية، الأول ذيل انقسم نصفين قرابة نهايته.

هاني: انت مين؟ ماشي ورانا ليه؟!

توقفت للحظة، التفتت للخلف، تشير بيدها من خلف ظهرها.

نادين: مافيش حد، انت بتكلم مين؟!

صمت لبرهة.

هاني: يلا بينا بسرعة.

أمسكها مسرعًا، بلغ منتصف الطريق، شعر بخشونة ممزوجة ببرودة كالثلج، تأذت يده من شدة برودتها، أصر إلا يفلتها، ظن أنه خوفه.

تبدلت البرودة فجأة! أصبحت ساخنة كماء يغلى، التفت خلفه، لمحه، يدها تحولت، تشبه يده.

اختفت تلك اليد! عادت لطبيعتها.

صرخ بصوت عالٍ.

هاني: انت مين؟

استمر بصراخه مهددًا.

هاني: كله إلا نادين، سامعنى! مش هارحمك لو قربت لها.

هربت دمعة من سجنها، صرخت بداخلها، ظلت باردة، جامدة. أرادت التمرد، تحطم جدران نفسها، لا تقوى، تجمعت كل قواها في تلك الدمعة التي هربت ترثي بها حبيبها، تحاول محادثته، لم ينتبه! غطا شعرها وجهها.

نادين: مالك؟ انت كويس؟!

تبا لك يا فوبوس، إنه بخير، يعلم أنك تتبعنا، لا يريدك، هو ليس لك، لا أريد سؤاله ما الخطب، أريد الصراخ عاليًا لتحذيره.

اهرب، اركض يا قرصاني الشجاع، اترك أمواجك، استسلمت! تكسر جناحا عصفورك الصغير، لا تدع طيبة قلبك تصبح هلاكك يا قبطاني.

نادين: شكلك تعبان والقلق عامل عمايله معاك، يلا نروح ننام أحسن.

اقتربا من المنزل، لم يرد الدخول دون التأكد، صرخ عاليًا لإخافة من تبعهم، لا يهتم إن سمعه أحد، علم مبتغى ذلك المخلوق القذر، يلاحق جوهرته الثمينة.

لاحظ عينيها، لمعت كأن بها قطرات مياه.

هاني: انتِ كويسة؟

نادين: أه أنا زى الفل أهو، حتى شوف.

رقصت! ضحكت عاليًا كالسكارى، أمسكها، ركض بها سريعًا للداخل، لا يدري ما أصابها؟! تتراقص في منتصف الطريق، بمثل هذه الملابس؟!

o●o

سمعت صراخه في الطريق، صوته عالٍ على غير العادة، عهدته هادئًا متزنًا، يكره الصوت العالي، يحب الهدوء، اتجهت لنافذتها الصغيرة مسرعة، صعقت! ما هذا، أهو ثمل؟!

تجمعت المياه في عينيها، تماسك أرجوك! لم تعهده هكذا منذ يوم اللحن الحزين، رأت ذلك المخلوق! وقف خلفه يضحك، تكاد تغلق سلسلته.

لابد أنه ثمل، لماذا يقف وحيدًا، مشلولا؟ ترك السلسة تنال من عنقه؟!

ارتفعت ضربات قلبها، كعداء يلهث محاولًا اللحاق بصاحب المركز قبل الأخير، حاولت تحذيره، صرخت عاليًا، لم تسمع صوتها! حاولت مجددًا، مازال صوتها غير مسموع كأن هناك من يقيد حنجرتها، يمنعها من النطق بحرف واحد، حاولت كثيرا حتى يئست، هربت شلالات المياه من عينيها.

لاحظت ذلك المخلوق، مختلفًا! يملك جسدًا أنثويًا، يتراقص أمامه.

فريدة: بتخوني؟!

تقدم نحوه فاتحًا ثغرة، كاد يبلعه.

o●o

دخل هاني للمنزل، لكن نادين بقيت خارجا، لا يعلم أن نادين هي طريق فوبوس إلى قلبه، إلى منزله، تخفي بداخلها، انتظر عودته.

لم يسمح لفوبوس بالدخول، لا يستطيع الدخول.

هاني: واقفة كده ليه؟!

نادين: مش عارفه ادخل.

لم يفهم، التفت لها حائرا، ابتسم فوبوس بخبث، أجاب.

نادين: حاسة انك مش عاوزني.

أعتقد أنه أخافها، حاول طمأنتها، التوي حاجباها لأسفل، تقوست شفتاها.

نادين: يعني ادخل؟!

هاني: طبعا.

لم تكن الإجابة التي بحث عنها فوبوس، تظاهر بعدم الفهم.

هاني: مالك يا نادين فيه إيه؟!

اخترقت كلماته جدران قلبها، وصلت سجنها، أفاقت من نومها، انهمرت بحار يأسها، لا تملك سوي البكاء، إنها اللحظة الحاسمة، لا تنطقها.

حاولت تكسير قيودها، لن تصمت مجددًا، ثارت، لكمت جدران قلبها الحجرية، صرخت.

تشققت الصخور، هربت منها قطرة مياه واحدة فقط أثقلتها بصراخها، بألآمها، بكل معاني الحب، رجت من أعماقها لو لاحظها.

نادين: مافيش، انت اللى مش عاوزنى.

لاحظ ضعف صوتها، اقترب منها، نظر في عينيها، جامدة على الرغم من حزن صوتها؟! كيف؟!

كالتائه بصحراء جرداء، بحث عن مجهول، رأى شيئًا غريبًا في عينيها، فتاة غريبة المنظر تقف في منتصف مغارة حجرية مظلمة! كبلت يداها وقدماها بسلاسل حديد صدئة.

سلسلة مميزة، تلك السلسلة الصدئة يعرفها جيدًا، كبلت عنقها بالكامل، تصارع قيودها، تلكم الجدار بسلاسلها، تصرخ، لا يسمع صوتها، لكن شفتيها تتحركان!

سقطت أرضًا، خارت قواها، هزت رأسها بيأس، بكت، هربت دموعها بين شقوق الصخر.

لاحظ هروب دمعة من عينيها.

هاني: بتبكي ليه مالك؟! تعالى بس احكي لى حصل إيه.

نادين: آجي فين؟

أمسك بيدها، سحبها للداخل لكنها رفضت، تجمدت مكانها، جذبها بقوة أكبر، لم يقدر على تحريكها رغم ضعفها!

هاني: ادخلى جوة يعني هنتكلم على الباب؟!

تحركت معه للداخل أخيرًا.

o●o

لفحة صقيع غريبة بالجو، ارتعش لكنها لم تتأثر.

هاني: انتِ مش حاسة بالبرد؟!

نادين: لا خالص.

أخرج من بنطاله علبة مجوهرات حمراء، جثا على ركبتاه، فتحها، قدمها لها، أخرجت منها حلقة ذهبية منقوشة بمهارة عالية، نقش عليها العصفور! يتوسطها خط فضي اللون، مزين ببعض الأحجار اللامعة، نقش بداخلها اسمها، أمسك يدها،

انفجرت العروس المكللة بالسلاسل، انهالت دموعها في ليلة عرسها، لامست القمر للحظات لتهوي لأعماق المحيط، اتسعت عيناها كمن أصيب بطلق ناري، مات فورًا، تجمدت، دموعها تسبقها، لا تعرف أتستحق تلك الحلقة؟! زنزانتها تدور بها، فقدت جميع حواسها، غرقت وسط شعور بالذنب، الخجل، العروس، العبدة التي ذُبحت في ليلة عرسها.

لو استمرت في المقاومة لبضع دقائق فقط!

ثابتة بلا مشاعر، كبركان خامد يكتم حممه، أفلتت دمعة من سجنها كالمعتاد.

لاحظت النقش، تذكرت الجزيرة، قلادتها، يراها عصفور محلق.

نادين: ليتني استطعت الطيران مثله.

جرت قطرة مياه بين الصخور.

مهلا، إن استطاعت دموعها الهرب، لربما تستطيع تهريب جملة، عادت لحواسها، حاولت الوقوف، كانت منهكة! قلادتها! نظرت لها، أمسكتها، شعرت بقوة غريبة داخلها.

استطاعت التحكم في يدها.

ربما.

حركت يدها، أمسكت القلادة في الواقع، شعرت بقوتها تعود! اعتصرت قلادتها.

عادت لسجنها، أمسكت القلادة، ضربت بها سلاسلها، بدأت تتشقق! شعرت بقوة غريبة تساندها.

نادين: الله حلوة قوى يا هاني.

هاني: بجد؟!

ضربت سلسلتها مجددًا.

نادين: بس أنا مش باطير زي العصفور ده، أنا عبدة، سامحني أرجوك.

فعلتها، استعادت حريتها.

ظهر فوبوس خلفه، أخرج دمية صغيرة تشبهها، طعنها بذيله، أغشي عليها بين يديه، احتضنها.

هاني: مالك يا نادين انتِ كويسة؟

أسرع بها للسفينة، غرقت في نوم عميق، ظل قلقًا، ساهرًا يراقبها، يرى قرونًا خارجة من رأسها الصغير! يفرك عينيه، تختفي القرون، لابد أنه مجهد.

لفت نظره شخص يشبهه! يجلس في الظلام، يضحك بهستيريا أمام ورقة بيضاء فارغة، حتى تمردت جفونه.

o●o

وقف وحيدًا، تتحرك قدماه من تلقاء نفسها، إلى أين؟!

الظلام يغطي المكان، يلتهمه، رأي بقعة ضوء أبيض بسيطة، تضيء ملابسه فقط، رسم ظله خط أبيض أمامه، تبعه.

بدا كأن الظل يخبره شيئًا، فرك عينيه، لم يصدق، ابتسم الظل له.

ارتفع رأس الظل، أسيهاجمه؟! توقف، عاد خطوة للخلف، خبَّأ رأسه خلف ذراعه، عصر جفنيه مستعدًا، انتظر اصطدام شيء بذراعه.

لم يحدث شيء، فتح عينيه مرتعدًا، خفض ذراعه ببطء، يسترق النظر، ارتفع ظله فوق صخرة صغيرة.

○●○

استيقظت، التفتت بجوارها، انتفضت، وقعت عيناها على ذلك الكائن البغيض يتكئ على السفينة بجوارها، استدارت حولها كالمجنونة، تبحث عن هاني.

فوبوس: ذهب لإختباره.

تكلمت بصوت ضعيف.

نادين: من غير فطار؟!

ثار، رفع صوته الغليظ.

فوبوس: أنا سيدك الوحيد أيتها الجارية، أعدي لي الإفطار.

ضربها بذيله كأنه كرباج، رسم خطًّا أحمر طويلًا على جسدها، هربت للمطبخ، هربت دموعها، حجبت رؤيتها، اصطدمت بحائط المطبخ، تذكرت الجزيرة، لمست قلادتها.

نادين: البداية، والنهاية.

انتهت من الطعام، وضعته على الطاولة، بدأ في الأكل، أشبه بحيوان برى، لا يستخدم يديه! يملأ فاه، يزيد عنه، تسيل البقايا من الجوانب، تقع على الأرض بجواره، امتلأ وجهه بالزيوت والشحوم وبقايا الطعام، يخرج صوتًا مقززًا أثناء مضغه كأنه رحي لا يتوقف ضجيجها، كادت تفرغ محتويات معدتها.

فوبوس: هيا يا جارية، أريدك الآن.

ضمت قدميها لصدرها، لفت حولهم ذراعيها، أخذت ركنًا صغيرًا في الغرفة.

نادين: مستحيل.

ضحك بصوته الغليظ، صفعها بكرباجه.

نادين: اقتلني أرحم.

أخرج الدمية الصغيرة، اخترق رأسها، سقطت نادين على السفينة.

فوبوس: طالما أملك روحها أستطيع فعل ما أشاء.

تقدم نحوها، جثة هامدة مستلقية في الفراش ألقي روحها أرضًا كأنها نفايات.

o●o

انتهي منها أخيرًا، التقط دميتها بذيله، يلهو بها، استيقظت، وجدت ملابسها ممزقة، استلقي على الفراش بجوارها، غطت جسدها العاري ببقايا الملابس الممزقة، بالكاد تستر شيئًا، بكت، كطفل صغير فارق والديه، انزعج من صوتها، ضربها بكرباجه.

فوبوس: اسمعي أيتها العاهرة، لا أريد سماع صوتك، وإلا.

أمسك دميتها، رفعها في وجهها.

فقدت النطق والحركة، لن أفقد السيطرة مجددًا.

نادين: أريد طلبًا واحدًا من سيدى، سأكون خادمته طوال العمر.

فوبوس: وما هو؟

تكلمت بصوت ضعيف.

نادين : دعني أودع هاني بمفردي، لن أحذره منك، أعدك بذلك.

دوت ضحكته المروعة، هربت الطيور منها، أمسك بعنقها، رفعها، علقها في الهواء، كاد يخنقها.

فوبوس: يبدو أني تركتك تتمتعين بحريتك طويلًا حتى نسيتِ من سيدك.

شعرت أنها النهاية، قوة غريبة تسحبها للأسفل! اخترقت الأرض، كانت في مكان غريب، محاطة بالنيران من كل جهة، داخل زنزانة صنعت جدرانها من النيران السائلة! طائرة، أشكال غريبة، سمعت أصوات صراخ مدوية، تتوسل

لنقطة مياه! تموت كل ثانية، تتجدد لتموت مرة أخرى، شعرت بروحها تغادر هذا العالم! نطقت بصوت متهدج.

نادين : سأكون عاهرتك.

أفلتها، سقطت كورقة شجر ضلت الطريق لغصنها.

لا تدري إن كان سمعها، جاهدت لتقف على قدميها! ترتعش، زحفت النيران نحوها ببطء، ظهرت لها أذرع، حاولت إمساكها لتأكلها! حاولت تفاديها، اصطدمت بسحابة نارية صرعتها أرضًا، عصرت عينيها خوفًا، صرخت بهيستريا منتظرة حروقها، قدرها، لم يحدث شيء.

فتحت عينيها، وجدت نفسها على أرض الغرفة، لمحت شيئًا غريبًا فور استيقاظها، بيده.

حرفا في شكل عصفور صغير، محلق، بسط أجنحته في تمرد.

فوبوس: ماذا تقصدين؟

صمتت للحظات.

نادين : سأتركك تتمتع بجسدي الجميل دون مقاومة، أليس هذا ما أردته؟! أن تتمتع بي وأنا في وعيي، لست مجرد جثة هامدة؟!

فوبوس: سأتركك تودعينه، لكن إن حذرته أو أخبرته بشيء ستندمين.

اختفي.

ذهبت تحضر طعامًا له قبل عودته، نسيت الطاولة التي تناول عليها، كأن معركة تتارية اندلعت فوق الطاولة، تناثر الطعام في أرجاء الغرفة.

دق جرس المنزل فور انتهائها من التنظيف، وصل الطعام الجاهز الذي طلبته لضيق الوقت، رغم رداءته، أخذت الطعام، رصت الأطباق على الطاولة بعناية فائقة، دق جرس الباب مجددا، ارتبكت، لم تعتنِ بنفسها بعد، تبدو كالخادمة، ركضت مسرعة للغرفة لا تعلم كيف تستعد، سمعت صوت المفاتيح، لمحت بطرف عينيها بعض ملابسها الممزقة.

o●o

وصل هاني لمنزله فرحًا، انتهي من اختباره أخيرًا، دق جرس الباب، طال انتظاره، قلق، بحث عن مفاتيحه، فتح الباب، دخل.

وجدها آية في الجمال، تنتظره في غرفتهما! ترتدى فستانًا لم يره قبلًا! جديدًا؟! كأنه تم تعديله؟! لم يهتم، قفزت على صدره مرحبة به، قبلته كثيرًا.

أغلق الباب بقدمه مسرعًا، استسلم لقبلاتها، وضعت أصبعًا على فمه.

نادين: الأول عملت إيه ف الامتحان؟

هاني: مش عارف حليت ازاى كده، تقريبًا قفلت الامتحان، أنا أول مرة اقفل من ساعة ما دخلت الكلية.

نادين: يا حبيبى تستاهل مكافاة كبيرة قوى على الامتحان ده.

اتجهت للطاولة، عبر عن إعجابه بفستانها الجديد، برعت في إخفاء ملابسها الممزقة على هيئة فستان جديد ترتديه.

جلسا كلاهما لتناول الطعام، قامت بتشغيل موسيقي هادئة، جميلة.

أرادت تحذيره، وقعت عينيها على مرآة خلفه، رأته فيها، ذعرت، لزمت الصمت.

اتجه القرصان القبطان لسفينته، منطلقًا في مغامرة جديدة، ببحر أمواجه صديقة.

نادين: باحبك قوى يا هاني، مش هاقدر اخبى أكتر من كده.

اخترق ذيل فوبوس دميتها، أغشي عليها، حرك ذيله، تحركت.

هاني: نادين، فوقي، انتِ كويسة؟

نادين: أه مافيش حاجة، مالك مخضوض كده؟

شعر بخطب ما، شعر أنها عادت لنفس حالة البارحة، ماذا كتمت بداخلها؟!

كانت على وشك الإفصاح.

عادت لسجنها، مكبلة بالسلاسل الحديدية، تصرخ، تحذره.

لا يسمعها أحد بالداخل، أصرت على المقاومة، ضربت السلاسل، دون جدوى، خارت قواها، لا تدري ما العمل، فقط تهمس بصوت ضعيف.

نادين: خلى بالك من فوبوس.

هاني: صوتك ماله؟ مين فوبوس ده؟!

لم تنتبه، مازالت تهمس داخلها.

أمسك ذراعيها، حركها للأمام والخلف، صرخ فيها.

هاني: ردى على مالك؟ مين فوبوس ده؟!

مازالت تردد.

اهتزت الزنزانة، سقطت صخرة بجوارها، التفتت لها غير مبالية، سقطت صخرة أخرى، في الاتجاه المعاكس، شعرت بالزلزلة، سمعته، عاد الأمل.

نادين: أنا كويسة، انت مالك بتسمع حاجات غريبة؟!

هوت في أرض سجنها القاسية، أكلها اليأس، يحترق صدرها، أمسكت قلبها، تعلقت يدها وقلادتها.

نادين: آسفة يا هاني، أنا خسرت من زمان.

أراد فوبوس إنهاء اللقاء.

نادين: سلام يا هاني بقي، عشان مااتأخرش على البيت.

غادرت مسرعة، تردد داخلها جملتها، لامست قلادتها السلسلة البغيضة، تشققت، سمعها.

فتش عنها كالمجنون، لم يجدها، صوتها يتردد في أذنه، أين مصدر الصوت؟!

أخرج هاتفه، فتح التطبيق، أرسل لها رسالة، لم تصل، انتظر بضع ثوانٍ، مرت كأنها سنين، ظهرت رسالة من التطبيق، "لم يتم إرسال رسالتك".

لا يصدق، حاول مرة أخرى، نفس الرسالة، حدق في هاتفه، فقد جميع حواسه، انفصل تمامًا عن الواقع، كأن روحه فارقته، سقط هاتفه، رأي ستارة سوداء،

مرت جميع ذكرياته بها أمام عينيه، تذكر كل تفاصيلهم معًا، هاتفها، لمحها تعبث بالتطبيق البارحة، ضعفت قدماه، جثا على ركبتيه، ذكرياتهم تطارده، صفع الأرض بقوة، لم يشعر بشيء، فقد احساسه، ضرب الأرض مجددا، مازال على قيد الحياه؟! توقف فجأة، اتجه للحائط، قطع ورق الحائط، كشف الحوائط القديمة المتهالكة، لكم الشقوق حتى تشققت قبضته، انهمرت دماؤه، مازال لا يشعر.

ظهر شوقي.

هاني : جاى ليه دلوقتي؟! مش عاوز اشوف وشك تانى؟ هتشمت فيَّ؟! هتقول لى قلت لك بلاش صح؟!

شوقي : لا طبعًا، أنا.

قاطعه.

هاني : ماتكملش، مش عاوز اسمعك.

فوبوس خلف هاني يضحك، لم يلاحظه نظرًا لثورته! حاول شوقي تحذيره، صرخ فيه، لم يسمع! التقط الزهرية، اشترتها نادين، سددها بكل ما أوتى من قوة كأنه ينتقم، إلى وجه شوقي، عبرت الزهرية بداخل وجهه كأنه هواء اصطدمت بالحائط، اختفي شوقي، سالت مياهها على الحائط خلفه كالدماء، تناثرت البقايا، الأزهار، أحشائها غطت الأرض، عاد يصفع الحائط.

رآه يضحك، طالما حلم به، فرك عينيه، تجمد، شغل عقله سؤال واحد، أهو حقيقة؟!

o●o

لامست قلادتها السلسة، تشققت، سمعت صراخه، رأته ثائرًا، بكت.

إنها السبب، حققت هدفه! ذبحت حبيبها، نثرت أشلاءها الممزوجة في دمائه، اقتربت نهايته، شارفت السلسلة على إتمام غلقها.

أمسكت قلادتها، رجت شوقي ألا يتركه.

رأته يحطم زهريتها، يسددها في وجه شوقي.

اعتصر الألم صدرها، ازداد تشقق سلسلتها، شدت على يديها، سمعت صوت تحطيم! قلادتها، وهنت أعصابها، فقدت ذكرياته، انفرجت قبضتها ببطء، ظهرت القلادة، تبعث شعاع ضوء أزرق سماوي، يتبادل مع شعاع آخر أخضر خفيف، كطيف جميل من عالم آخر رفعت الحمامة رأسها، رفرفت ببطء، بدأت تسرع حتى طارت.

أصدرت صوتًا لطيفًا، خفيفًا، غنت.

ابتسمت، تذرف الدموع، ابتسمت الحمامة، طارت لأسفل ذقنها، تشير لها بمنقارها.

نظرت إلى عنقها.

كُسرت سلسلتها! اختفت الحروف من فمها، حركت يديها تقلد الحمامة.

إنها حرة!

تذكرت هاني، صراخه في شوقي، سلسلته، ليس بيدها حيلة.

مرت بجوار الجزيرة، قبضت على حمامتها، ترفرف بجوار أذنها.

نادين: البداية، النهاية.

اتجهت للنيل، أجرت زورقًا، جدفت مسرعة، أكلت طريقها مرتعبة.

تغلبت على ضعفها في التجديف، خوفها من المياه، لا تكترث لأي شيء، لِمَ الخوف؟ شارفت النهاية.

ظهر فوبوس، يريد إيقافها واسترداد السيطرة عليها، صفعها بذيله.

قبضت على قلادتها، سددت صفعة قوية، أحرقت وجهه.

خاف منها، من قوة القلادة، رجع عدة خطوات للخلف، يهرب منها.

انقلب الزورق قرب حافة الجزيرة، أسرعت بالوقوف، قوة غريبة تسرى في عروقها، جعلتها تنهض سريعًا، سبقته! شدت القلادة حول كفها الأيمن، قبضت على تميمة العصفور، سددت صفعة أخرى لفوبوس قبل وقوفه، أحرقت وجهه، سقط أرضًا.

انطلقت، تركض مبتعدة! إلى مغارة القلائد.

بسطت قبضتها، كشفت عن التميمة، نمت لها أجنحة.

نادين: عصفورتك هتطير.

قبلت التميمة، تركتها! تسلقت صخرتها، جرت دموعها، أغلقت عينيها تستمع للموسيقي.

رياح شديدة تخبط وجهها الجميل، طار شعرها خلفها، كأنه ذيل العصفور الحر.

فردت جناحاها.

نادين: عصفورتك فاردة جناحها، هتطير أخيرًاً.

لم يفارق هاني مخيلتها لحظة واحدة، يقف أمامها، تحدثه.

ظهر الفارس خلفها بسيفه المضيء، درعه اللامع، دون خوذته!

شوقي: لا يا نادين! لا بلاش! المسي السيف بس، انتِ حرة دلوقتي!

مد لها سيفه.

نادين: بعد إيه؟! ضيعت حبيبي! بعته بالرخيص، خلاص الحكاية خلصت، النهاية اتكتبت.

التفتت للخلف، دموعها تغمر عينيها.

شوقي: ثقي فيَّ، مش هاسيبه.

نادين: أنا ماستحقش أصلًا.

أعطته ظهرها، أغلقت عينيها، أخذت نفسًا عميقًا.

نادين: مش هاسلم نفسي لفوبوس.

انحنت بجسدها للأمام، تقدم شوقي محاولاً إمساك يدها.

لم يلحقها، انزلقت من فوق الصخرة، جناحها مفرود، تحلق.

استعادت حريتها! التف شعرها، اختلط بدموعها، غطي عينيها الجميلتين.
دق جسدها المياه، تغوص، تضرب بقدمها لتطفو، تضعف قواها فتغوص، تصارع الأمواج نفسها.
حملتها المياه بعيدًا، نال منها التعب أخيرًا، هديت غريزتها للنجاة، ابتلعتها المياه بجوفها، ظهرت فقاعات هواء عكرت صفو المياه، كأن الماء يغلي غضبًا، قبل روحًا بريئة.
توقفت الفقاعات! احتلت المياه رئتها بالكامل، سكنت، كأن شيئًا لم يكن، نسيتها.
أفاق فوبوس، رأى فقاقيع الهواء، ضحك كمختل عقلي سرقته الخمر.
فوبوس: حمقاء، روحها ملكي، وإن لم تكن، أصبحت الآن ملكي للأبد، مرحبًا بالجحيم يا جاريتي.
شوقي: ليه يا نادين؟! أنا اقدر أغلبه.
فوبوس: بالطبع تقدر أيها العجوز، لكن المعركة للأذكى، لا الأقوى.
عاد لضحكه المقزز، التفت له الفارس، اتسعت عيناه، ارتفع حاجباه، لم يتردد للحظة.
زأر! استعد للانقضاض، استل سيفه، غرسة داخل الصخور، تشققت، أخرجت نورًا عظيمًا.
صرخ فوبوس، توقف ضحكه أخيرًا، احترق.

اختفي فوبوس، هرب.

جلس شوقي فوق جثتها، ينوح عليها.

○●○

جلس في ركن، يضم قدميه إلى صدره، كيف هرب؟ أهذه هلاوس؟ أفقد عقله أخيرًا؟ يرقص، يضحك أمام عينيه.

اعتاد وجوده، يقلده فقط، لا يصدر أي صوت.

أخرج هاتفه، لا يصدق عينيه! يتحقق، رسائله لا تصل.

استجمع قواه، أمسك هاتفه، طوح يده، توقف في منتصف الطريق، لا يملك رفاهية شراء هاتف جديد، تركه، نهض يلكم الحائط، فضل أن تتأذى يده، ستشفى! لكن هاتفه لن يصلح نفسه، قطع الرسمة، الوردة.

لا يرتدي شيئًا بقدمه! خطا فوق بقايا الزهرية، لم يشعر، لكنه لاحظ دمًا، لا يكترث، مضى في طريقه فوق الحطام، دماؤه تكثر، لكنه لا يشعر بشيء، أي شيء! تجرد من الإحساس، باردًا كالجليد.

سقط أرضا، فقد وعيه.

○●○

سالي

سمع هاتفه، فتح عينيه، رسالة من سالي، ابتسم، خرج للشرفة، سمع أصوات الطيور، استنشق النسيم البارد صباحًا، يلامس وجهه بلطف، جعله يشعر أنه على قيد الحياة.

أخرج هاتفه ليرى الرسالة، أرسلتها باكرًا لتكون أول ما يراه صباحًا.

سالي: صباح الخير يا قلبي.

تسامرا قليلًا، سرح في السماء الصافية، تذكر يوم عرفها من موقع الفيس بوك رغم أنها جارته.

عرفته جيدًا، عرفت عائلته، لكنه لم يرها مطلقًا.

تفوقه في عمرها، أخبرته بحبها، رفض في بادئ الأمر، لم يتخطى عائق السن، كما أنه لم يرها مسبقًا، توقفًا عن التواصل لفترة لكن وحدته دفعته للعودة للتواصل، لم يمضِ طويلًا حتى أخبرته مجددًا بحبها.

أراد رؤيتها، عرفها قرابه الشهر ولم ير سوى عينيها! أخبرته أنها خجولة، لم تعتد الحديث مع الرجال قبلًا، صدقها، ازداد حبه لها.

سالي: مش هتيجي تخطبني؟!

غضب، تحدثا مرارًا في ذات المشكلة! لم يعرفها جيدًا، لم يرَ وجهها حتي! إن فشلت خطوبتهما لن تسلم هي من الأقاويل!

سالي: لو المشكلة في الفلوس عشان لسه ماخلصتش الكلية أنا ممكن اديلك تمن الدبل وبعدين نكمل الباقى مع بعض في فترة الخطوبة عادي.

استجمع أعصابه، أخبرها من أين له بتكاليف الزواج! بمَ يخبر والدها إن سأله عن عمله! كره الخطبة، يتظاهر فيها الطرفان كلاهما بالفضيلة!

سالي: مالكش دعوة، أنا هاتصرف مع أبويا.

هاني: لما يسألنى؟! اقول له بنتك هتجاوب لى؟! ماتعصبينيش.

سالي: خلاص خلاص، خدني في حضنك.

ذهب للعيادة، فوجئ بدخول أحد المرضي محمولًا على الأكتاف، سكين صغير يعلو صدره، يخترق قلبه مباشرة! المرافقون يصرخون، يريدون الطبيب فورًا، دفعوا ثمن نجاة صديقهم! لكنه توفي بالفعل، أصروا أن الطبيب يستطيع إنقاذه. سمع هاتفه، تركه حتى انتهى العبث! الشرطة خير منجد بعد ساعات طويلة، قرابة ال ٣ ساعات في انتظارهم، فُتح محضرًا بالواقعة.

هاني: تاني يا سالي، الزن حتى في الشغل.

سالي: عايزة نبقي على راحتنا طيب.

أخبرها أن تغلق كي لا يغضب منها.

سالي: بص كده على الاستورى.

فتح الصورة، رأى وجهًا جميلًا، غازلها! أخبرها عن مدي جمالها.

غادر العيادة، اتخذ المترو، أراد التفكير، ترجل قبل ميعاده، سمع موسيقاه.

هاني: طب ما اتقدم لها.

لكنه اعترض.

هاني: بس أنا ماعرفهاش، أنا حتى ماشفتش وشها، طب هاقول للبيت إيه؟ عاوز أتقدم لواحدة ماعرفش شكلها حتى.

نظر للسماء حائرًا.

هاني: أنا زهقت من الزن بتاعها، براحتها بقي، هاتقدم لها.

أخرج هاتفه، لمس شاشته عدة مرات.

هاني: خدي معاد من بابا، هاتقدم لك.

سالي: قلبي هيوقف، انت بتتكلم جد؟!

أخبرها بجديته.

سالي: لا مش هآخد معاد.

عقد حاجبيه، لم يقدر على كتم غضبه بعد.

هاني: من ساعة ما ارتبطنا وانتِ بتزني على الحكاية دى، بنتخانق في اليوم مرتين بسببها، ودلوقتي بتقولي لي لا.

لم تجب، سألها عن اسم والدها كي يخبر أهله عنها، رفضت إخباره!

سالي: ماما عاوزاني، هارد عليها بسرعة وآجي لك.

أكمل طريقه متراقصًا، إنها المنتظرة، انتهت أيام التعاسة، أراد إخبار العالم أجمع أنه مقدم على تلك الخطوة أخيرًا، لاحظها بطرف عينه!

الحياه قاسية، تعطيك الأمل، تقربك منه، كدت تلمسه، تنتزعه منك بوحشية! تتلذذ بعذابك، أيام سادية موحشة.

خفق قلبه، يكسر سجنه العظمي، رآها في الطريق تخرج من أحد السيارات كالصورة تمامًا، ترتدي ملابس غريبة، قصيرة؟! كيف؟! شيء خاطئ، انتابه الشك، تابعها.

تخدرت أطرافه! ثبتت قدماه في الأرض، رآها تدخل هناك، تردد كثيرًا، مخدرة، ملجؤه في الأوقات الصعبة، كُتب على مدخله، "كبارية السعادة".

الفتاة: مش عادتك! إيه اللي معلي معاكِ قوي كده يا مزة؟! ترامادول؟

ضحكت بصوت رفيع، كعاهرة محترفة.

سالي: فاكرة الواد اللي كلمتك عنه؟! عاوز يتقدم.

قالتها بالطريقة المعتادة لهن، الغنج.

انطلقت زغرودة عالية في أرجاء المكان، التف حولها الجميع، يهنئونها.

تساءل الجميع كيف فعلتها؟! يريدون خبرتها.

سالي: نشفت ريقه عشان يشوفني بس، له شهر هيموت ويقابلني، كل شوية باغريه، عشان مايبصش برة ويستعجل.

الفتاة: شهر كامل عشان سالي ترابيزة!

ضحكوا جميعًا، قطعهم صوت غليظ قبيح.

صوت: وأنا هاستني شهر يا سالي ولا إيه؟!

انتبهت له، شخص بدين، تدلت أجزاء منه بكل اتجاه، خاصة كرشه، كسيدة حامل في الأشهر الأخيرة، اكتظت الطاولة أمامه بالطعام والخمور، كحيوان يرعى وسط سمومه، ارتدي جلبابًا ابيض، عمامة حمراء، ربما الزى الرسمي لإحدى دول الخليج.

سالي: انت الخير والبركة يا باشا، اللي هيعملي عملية الترقيع! خد بوسة.

ألقت بجسدها في أحضانه، فوق فخذه بل كرشه، أمسكت بكأس، ضحكت، رفعت الكأس ترشف منه.

اتسعت عيناه، ارتبكت أنفاسه، شهق، التقت أعينهم، تخبط الخمر بحلقها المغلق، لفظته من أنفها، اختنقت، وقع على الجلباب الأبيض.

الثري: خلي بالك يا ترابيزة انتِ.

لم تسمع، ثبتت نظرها لهاني، هربت الكلمات منها، أكلت لسانها.

هاني: مش هتردي على الزبون يا ترابيزة؟!

شد أحد جوانب فمه، أخرج زفيره باستهزاء.

استدار ليخفي دموعه، اتجه للمخرج، تجاهل صراخها.

كل شيء منطقيًّا الآن، إصرارها على الخطبة، خوفها منه، هروبها، حرصها ألا يراها، إخفاء اسم والدها، تستعجل أمرهم كي لا يتذكرها، تردد هناك كثيرًا، علمت عنه كل شيء، بشكل موحش.

سالي: استني، ندخل جوة، هافهمك.

هاني: خايفة من إيه؟! مش مكسوفة من نفسك، مش مكسوفة من لبسك.

وقعت الكلمات على أذنها كالصاعقة، غطت كتفيها بيديها، حاولت سحبه للداخل.

هاني: دلوقتي افتكرتِ تغطي نفسك، هتغطي إيه ولا إيه، سيبى إيدى.

هربت دموعها، أمسكت يده، حاولت تقبيلها! سحب يده سريعًا، استدار.

سالي: والله ما بإيدي، أبويا عاجز! مشلول، وقع في شغله من مكان عالي ومن ساعتها مابيتحركش.

قاطعها.

هاني: كفاية حجج بقي، عارفة لو قلتِ لى من الأول انك شغالة ريكلام في كباريه، كنت احترمتك وحبيتك أكتر، انتِ اختارتِ الطريق السهل، اللي زيك مايعرفش يعني إيه حب، اللي زيك مايعرفش غير الغش.

بصوت متقطع، خافت.

سالي: بس أنا باحبك بجد.

تركها بين دموعها، أراد النوم، الهروب من فكره، تبعته.

تجاهلها، دقق النظر في وجوه المارة بحثًا عن شيء لا يعلمه! ربما الأمان، الطمأنينة، وجد ضالته، نادين.

دلك عينيه، لا يصدق، مرت شاحنة ضخمة أمامه، أسرع ليتخطاها، استدارت لتركض! ركض خلفها، سالي خلفه، كيف أتت هنا؟ ماذا حدث لها؟! فقد سيطرته، لم يرد العدو خلفها.

توقفت، قادتهم لزقاق صغير.

هاني: نادين؟!

امتلك العديد من الأسئلة لها.

استدارت ببطء، مرت اللحظات كأنها ساعات، وقفت سالي خلفه لا تكف عن الثرثرة كعادتها، لم يسمعها، انتظر رؤية ذلك الوجه الملائكي، اشتاق له، لم يحب مثله قبلا.

تسارعت دقاته، تتراقص كلاعب طبلة مكسيكية يعزف على أوتار قلبه.

ضاق صدره فجأة، كأن جبلًا شاقًا سقط فوق صدره ليسحقه.

رأى وجهها! نما لها قرنان طويلان، شعرها أشبه بالأشواك، بدأ وجهها يحترق، تحول لذلك الوجه المخيف، المخلوق الغريب.

سمع صوتًا غريبًا خلفه، استدار يتحققه، ارتجفت يداه! سالي بالخلف نما لها قرنان، شعرها أشواك، احترق وجهها.

سمع صوتًا غليظًا، اجش، قادم من الاتجاهين في نفس اللحظة.

الصوت: انت ملكي، لا مفر.

بحث عن مهرب، نظر حوله، لم يجد مخرجًا سوى نافذة صغيرة لأحد المنازل، كسرها، قفز بداخلها، اشتم رائحة احتراق، سمع صوت نيران وقف، نظر خلفه، وجد النيران تأكل الزقاق بأكمله! التف ليهرب، وجد أمامه أسطوانة غاز! التف خلفه، وجدهما كليهما يحمل السلسلة الشنيعة.

الصوت: يبدو أنك محاصر الآن.

ضحكاتهم تهز أرجاء المنزل الصغير، إنها نهايته، لا مفر، إن هرب للأمام لفجر الأسطوانة بنيرانهم.

سقط أرضًا، أغلق عينيه، استسلم لقدره.

سمع صوتها، مرت بجانب أذنه، سمع خشخشتها، أراد مد يده ليمسكها، يوقفها، لكن لمَ؟!

تحلق في سماء خياله، تتقدم نحو الأسطوانة، يتتبعها بعينه رغم أنها مغلقة.

كتم أنفاسه.

o●o

نادين

استيقظ، ملقي أرضًا، شوقي بجانبه كمن أكثر من شرب الخمر، نسي ما حدث، كل ما تذكره هو ذلك الكائن بالغرفة.

فزع، كيف سقط؟ التفت حوله بحثاً عنه، لم يجده، أكان حلمًا؟!

لا يهم، اختفي، هذا أفضل.

مهلا، نادين! حلم؟! نعم، كان حلمًا من أحلامه الغريبة.

نظر إلى هاتفه، تركه بيأس، التفت لشوقي.

هاني: جاي ليه تاني؟ تشمت؟! هتقول لي قلت لك بلاش من الأول، صح؟!

بصوت خافت، متقطع، يملؤه الحزن.

شوقي: غبي، إيه الحلم المرة دي؟

هاني: سالي و..

قاطعه شوقي.

شوقي: نادين.

أومأ بالإيجاب ناظرًا للأرض، لا يقدر على المواجهة، نفخ أنفاسه.

تسأل شوقي إن كان اليوم أول يوم تعود فيه الأحلام.

شوقي: أحلام بس؟!

هاني: وانت مالك، انت جاي ليه أصلًا؟!

شوقي: جاى أقول لك اقرأ الأخبار، نادين طارت.

اختفي شوقي، لن يظهر دموعه، فضلته عنه! بإمكانها اختيار الاثنين.

أكلت الحيرة رأس هاني، بدل ثيابه، خرج للشارع عيناه تفتشان عن أقرب بائع للجرائد.

لسعه تيار هواء ساخن كاد يحرقه، نظر خلفه، وجد صندوق قمامة متعفن يبعد عنه عشرات الأمتار، عاد لطريقه يفتش عن البائع، أحرقه التيار مجددًا، التفت سريعًا بكامل قواه أملاً في أن يلمح أحدًا، وجد نفس الصندوق، تحرك، يبدو أقرب، تقدم تجاه الصندوق بحذر، حرقه التيار.

التفت سريعا، رآه! المخلوق الغريب، لم يره مسبقًا من هذا القرب، حرقت الأنفاس وجهه.

جلده صخور نقشت كحراشف الأسماك، سوداء قاتمة، اشتعلت لكنها لا تفني!

إنه حُلم! ربما أصابه الخرف! أغلق عينيه، دعا أن يختفي، شعر باختفاء التيار الساخن، فتح عينًا واحدة فقط ببطء شديد.

وجد بائعًا للجرائد يقف أمامه! تحدث معه، لمحه مجددًا يمشي بمحازاته في الجانب الآخر! عبرت شاحنة حجبت رؤيته للحظات، اختفي.

سمع كلام البائع غير منتبه، فتش بين الجرائد عن خبر، مقصد شوقي.

وقعت عيناه على ذلك الخبر، لابد أنه هو، صورة لنادين ملقاة على شاطئ النيل.

اتسعت حدقتا عينيه، أكمل قراءته، منعه شيء غريب حجب الخبر عن رؤيته، سمع صوتًا حقيرًا.

البائع: هتشتري يا باشا ولا هنقضيها تقليب وبس؟!

لاحظ الحقير اتساع حدقتيه، غطى الخبر فورا بيده، طبيعة البشر جميعا، الاستغلال.

فهمه، أبعد يده القذرة عن وجه نادين الرقيق، أخرج بضعة جنيهات لم يعلم عددها، لم يهتم، ألقي بها أمامه، كالكلب اللاهث، جمع الحقير نقوده.

أخذ جريدته، التف يغطي الخبر، فتح جريدته، قرأ.

"العثور على جثة فتاة عشرينية ملقاة على ضفاف النيل".

"أثبتت التحقيقات الأولية موتها غرقًا وأن المياه قد جرفتها لشاطئ...".

تضاربت الأسئلة في رأسه، لا يصدق النبأ، حدق في الجريدة يلقي نظرات الوداع.

سمع صوت غريباً، غليظاً، همس في أذنه.

صوت: شوقي كان معاها قبل ما تموت، هو قال كده.

حاول استدعاء شوقي بكل قواه، صرخ كالمجنون، اضطرب المارة، لا يعبأ، استمر في المناداة، ينظر في وجوه الناس، لعله ظهر بينهم، بحث عن إجاباته، أصابه ألم حاد برأسه.

سخر منه المارة، فقد عقله؟!

ازداد ألمه كلما سمع السخرية، انتظر إجابته، لم يظهر.

دخل زقاقًا ضيقًا، أسند ظهره للحائط، انزلق ببطء، ضم ذراعيه حول ساقيه، خبأ رأسه بينهما، يهرب من المارة، يختبئ من السخرية، أراد الاختفاء، ما فائدة وجوده بعد ضياع حبيبته.

أغمض عينيه، حاول الهدوء، استدعاؤه، مجرد خيال أراد مواجهته، شعر به يظهر.

رفع رأسه ببطء، فتح عينيه، وجد المخلوق الغريب أمامه.

فزع، احتل الخوف قلبه، انتشر في دمه، في جميع أرجاء جسده، شعر بخدر بكل أطرافه.

أمسك بالجريدة، بدأت تحترق، انتشلها هاني من يده مسرعًا، سقطت نادين أرضًا، وجهها يحترق، يودعها بعينيه، شعر بحرقة وجفاف شديد بعينيهن أغلقهما، فتحهما مجددًا سريعًا، اختفي.

نظر للجريدة، لم يصبها شيء! كيف؟ احترقت منذ لحظات، وجه نادين سليم.

لاحظ طيفًا لم يلاحظه قبلاً، يشبهه، المخلوق الغريب، وقف فوق جزيرة بعيدة، عرفها! مخبأه، دقق النظر بعنقها، لا توجد قلادة.

اتجه لصديقه صاحب الزوارق الصغيرة، طلب منه زورقًا لفترة كبيرة، قد لا يعود اليوم.

العجوز: يا بيه انا دايمًا باسيبك على راحتك، بس لسه ضايع مني مركب امبارح، أجرته واحدة كده وشها مش غريب عليَّ، واختفت، مارجعتوش يا بيه، وانت عارف الحال يعنى هما ٣ مراكب اللي حيلتي.

لا يوجد من لا يقتنع أمام المبلغ المناسب من المال.

في منتصف طريقه، شعر بأنفاس تحرق أذنه، خاف من النظر إليه عن قرب، لكنه تكلم! نفس الصوت الأجش الغليظ، سمعه في الحلم، همس في أذنيه عند بائع الجرائد.

المخلوق: لم تحبك قط.

استدار ببطء، مياه تغطي الأفق لأميال.

هاني: سيبني في حالي بقى، انت مين؟!

أخرج الجريدة، نظر في الظل، أمسك شيئا شبيهاً بالدمية، مشتعلة.

هل أحبته حقًّا؟! إنها لم تحبه قط؟!

أين الصواب؟! إلى من يسمع؟!

قلبه يخبره بحبها، عقله يرفض تصديق مشاعر بلهاء.

أين الحقيقة، أين السراب؟!

أراد حياة بسيطة هنيئة، سالمة لما وجب علية المرور بحروب لا تعنيه؟!

وصل للجزيرة، سمع صوتًا غريبًا تردد برأسه، يخبره بتفقد القلائد.

اتجه للكهف، يفتش بينها، وجدها! لا يصدق عينيه، أمسكها قربها لعينيه، فرك عينيه، دموعه أغرقت الصخور، فقد توازنه، سقط، استلقى على الصخور دون حركة.

أفلتت قبضته، هرب من يده العصفور.

لمَ تخليت عنها؟! تخلت عنه.

تقطع أي حبل يذكرها به، حظرته، أعادت القلادة حين قدم خاتم خطبتها، كانت باردة، توقع شوقها! ممثلة رائعة، خططت لخلاصها من الأحمق الذي أحبها بصدق! قابلتها موجة عنيفة، قاسية، تتناسب مع قسوة قلبها، لكنها لا تعرف كيف تجدف، غرقت، هزمت أمواجه الخاصة الهوجاء.

تفسيره الوحيد.

وقف يملؤه الغيظ، صرخ.

هاني: بتضحك عليَّ يا شوقي، كنت معاها هنا وسبتها تموت؟!

صمت برهة.

هاني: فالح بس تساعدني، بتساعدني ليه؟! عشان تضحك عليَّ؟! تعذبني؟! بتحب تشوفني متعذب؟! كنت سبتني انتحرت وقتها، كنت أنقذتها، ليه سبتها تموت؟! رد عليَّ يا جبان، ليه؟!

انتظر رده، يعيد أسئلته مرارًا، يزيد صراخه، حتى اختفي صوته.

يأس، انهمرت دموعه.

هاني: طبعا مش هترد، لو شفت وشك تاني هاقتلك، فاهم، هاقتلك.

خلع ملابسه، اتجه للصخرة، تسلقها، أغلق عينيه يسمع الموسيقي، بسط جناحيه، ظهرت نادين! يراها تحلق بأجنحتها بجانبه، بداخله! قفزت، تحلق.

نادين: أنا طيرت يا هاني، طرت.

هاني: أنا عاوز أطير.

ترك جسده ليهوى! شاركها الطيران.

انقلب في الهواء، انقلبت معه أيضًا، لمحه يقف مكانه أعلى الصخرة، أومأ بيده يودعه، ابتسم له هاني، أومأ يودعه أيضًا.

○●○

إنه قرصان قبطان، سباح ماهر، قطع نفسه، لا يتحرك، سمع كثيرًا أن الغرق أبشع صور الموت، أكثرها ألمًا، أراد التحقق بنفسه، فقد شعوره بكل شيء، كالدمية، لا يوجد أفضل من الموت لتشعر بالحياة، ترك نفسه للغرق، أراد الشعور بنادين، في لحظاتها الأخيرة، كيف كان ألمها وقتها؟!

بحث عن أي شيء ينقذه، قشة يتشبث بها، ضرب المياه بجميع أجزاء جسده، غريزة البقاء، تمنى تكرر ما حدث مع قرصانه التعلق بخصلات شعرها، انتظر أمواجها، تعطيه الإذن ألا يغرق.

لا منفعة، ترك نفسه يطفو، ملأ الهواء رئتيه، ترك الأمواج تتقاذفه.

ليس سيئًا، الألم! لكنه لا يكفي، مازال لا يشعر بشيء.

قرر البقاء على الجزيرة بدون ماء أو طعام، قرر العودة للحياة البدائية.

فريدة

انقطعت أخباره فترة تقرب من الشهر لا تراه، حاولت الاتصال به كثيرًا، لم يجب، سألت أصدقاءه، لا أحد يعلم شيئًا عنه، أين اختفى؟! سألت في مكان عمله، دكتور عبد الهادي غاضب من غيابه بلا مبرر.

كانت السنة الأخيرة في الدراسة له، اقتربت اختبارات نهاية العام، لا تعلم كيف تصل له، قلقت عليه، لمَ عاد المخلوق؟! أين صحبه؟! تكلمه يوميًا على هاتفه.

عادته، يختفي بعض الوقت، لكنها لم تطمئن لهذه المرة، وصل قلقها حد المرض، لم يصحبه المخلوق قبلاً، سوى مرةٍ وحيدة، فوق السطح.

لم يغلق هاتفه قبلًا، تذهب لمنزله يوميًّا، تدق بابه، دون رد، لم تملك سوى الدعاء، خافت نسيانه ملقي في أحد الأماكن ترفض أطرافه الحركة.

تابعت الجرائد يوميًّا، بحثت عن الحوادث، لعله نجا من المخلوق.

إنه لا يختفي إلا بموت أحدهم، لا يختفي سوى بالدماء، مطلبه الدائم، بحثت في جميع المستشفيات، تقف في شرفتها يوميّاً أملاً في رؤيته، تتخيله عائدًاً كل صباح.

تتخيل عودته كعادتها، كان مختلفًا يومها، هزيلًا على غير طبيعته، ملابسه رثة، نمت لحيته، تناثر شعره، ملأت الأتربة أمواجه البنية.

أمازالت تتخيل؟!

دعكت عينيها، إنه هاني! أمسكت هاتفها، اشتاقت له، لم تشعر بمدى حبها.

طبيعتنا، لا ندري أهمية المقربين لنا إلا بعد ضياعهم، اتصلت به، صوت جرس، فرحت، لأول مرة لا يجيبها برسالة باردة "الهاتف الذي طلبته غير متاح الآن"، مشت في دوائر بصالتها، تنتظر رده.

تأخر في الرد، تعد الثواني، ذهبت مسرعة لشرفتها، كان بمدخل منزله، لمحته بالخلف، خافت، ما هذا، نما له ذيل مشقوق قرابة نهايته، له رأس مسنن كرأس السهم.

ربما كانت ملابسه.

انتهى اتصالها، لم يجب.

لم تطيق الانتظار، أسرعت إلى منزله.

○●○

عاد لمنزله، قضى شهرًا، شارفت اختباراته على البدء، كان رثًّا، فقد الكثير من الوزن، نمت بعض عضلاته.

بحث عن نادين جديدة، كرة الحب التقليدي، لابد من نهاية واحدة له، وإلا حكم علية بالفشل! لا تتذوق فيه طعم الأمواج إلا بعد الزواج، بحث عمن تشبهه.

يحتسي قهوته، دق جرس بابه، انزعج! من المتطفل؟! فتح الباب، كانت فريدة، الفرحة تملأ عينيها.

ارتبكت، شهقت، ماذا حدث له طوال هذه المدة؟!

فريدة: كنت فين؟ قلقتنى عليك؟!

هاني: وانتِ مالك؟!

لم تعتد طعن كرامتها من قبل، تساءلت إن كان بخير.

هاني: أه، كويس جدا كمان، بس مش فاضي لك.

تمنت لو تنشق الأرض لتبلعها، لم تصدق أذنيها.

فريدة: بتطردني؟! دا انت حتى ماعزمتش عليَّ ادخل.

تركها، اتجه إلى قهوته، دعاها للدخول.

دخلت، أغلقت الباب خلفها، تساءلت لمَ يعاملها بقسوة! متى فقد وزنه؟!

رشف قهوته، وضع قدم فوق الأخرى، رفع أحد حاجبيه.

هاني: وانتِ مالك ارفع ولا اتخن؟! كنتِ حبيبتى وأنا مااعرفش؟!

هربت دموعها.

فريدة: أنا باحبك.

هاني: متأخرة قوى.

مسحت وجهها، أشارت بكتفها دلالة على عدم فهمها.

تقدم للأمام بمقعده، نظر في عينيها.

هاني: يعني خلاص، شطبنا، بطلنا نحب.

عادت دموعها تلوث وجهها الجميل.

فريدة: حرام تعمل فيَّ كده، أنا جاية لك البيت مخصوص وانت لوحدك.

تجهم وجهه.

هاني: ماكنش حرام عليكِ لما غرستِ أول سكينة فى قلبى.

ردت بصعوبة، بصوت متهدج.

فريدة: ماكنتش فاهمة مشاعري، آسفة.

وقف مكانه، هربت من عينيه دمعة، التف بظهره مسرعًا.

خلع ملابسه، لم يبقَ سوى سرواله، اختلطت مشاعرها.

فريدة: انت هتعمل إيه، انت اتجننت؟!

تبدل صوته.

هاني: داخل آخد شاور، فاكراني مالاحظتش انك حتى ماقاومتيش، ماهربتيش، فاكراني مالاحظتش الفرحة في عينيك؟! ابقي اقفلي باب الشقة وراكِ.

ضحك عاليًا، بصوت غريب، ظهر ذيله.

عرفت ذلك الصوت جيدًا، المخلوق الغريب، عرفت شكل الذيل، ذيله.

خرجت، بل هربت.

o●o

منى

انتهى حمامه، خرج مبللاً يرتدي منشفة لفها حول خصره، فرقع إصبعه، ظهر فوبوس، ركع أمامه، يدعوه سيده.

طلب منه قوامًا ممشوقًا، تفاخر كأنه لاعب كمال أجسام.

فوبوس: لكن يا سيدي.

هاني: أعلم، لا تخبرني أنك لا تستطيع فعل هذا الشيء البسيط بدونها؟!

امتعض.

فوبوس: بل أستطيع.

فرقع أصبعه، امتلك جسدًا رياضيًا، قويًّا.

وقف أمام المرآة يتفقد قوامه الجديد، أفلتت المنشفة، أخذ أوضاعًا استعراضية.

هاني: أتممت عملك، أريدك في زي رسمي و وأريد كثيرًا من الأموال.

اختفي، ارتدى ملابس أنيقة يظهر ثراءه، ظن أنه انتهى من الحروب بمصادقته لعدوه، على الأقل علم مسعاه، لكنه لم يُخدع بسهولة.

وصل للملهى الليلي المعتاد، جلس على الطاولة المعتادة، شرب الخمر، تابع الفتيات تتراقص، فتش بعينيه بين الأوجه بحثًا عن منى، عاهرته الرخيصة، المطيعة! تتراقص فوق المسرح، صعد، رقص معها، ألقى الكثير من النقود، إنه ثري الآن، همس في أذنها.

التفتت اليه، تدقق النظر، لم تره لمدة تغير فيها، أولت الاعتذار، وضع إصبعه فوق شفتيها.

هاني: تعالي نتكلم تحت، على ترابيزتنا.

نزل أولاً، حملها كالطفل، أنزلها على الكرسي، طلب المزيد من الخمر.

صمتا برهة، أمعنت النظر في جسده، تساءلت عن سبب هذا التغيير.

هاني: على الفلوس؟

نظرت لذراعه الممتلئ بالعضلات، لمعت عيناها.

منى: على كل حاجة، الفلوس، جسمك، انت شيلتني زي الورقة.

ضحك بغرور، اعتدل في جلسته، غمز لها، ابتسم.

ضحكت بصوت العاهرات الرفيع العالي.

هاني: تيجي ناخد القزايز دي تيك أواي، نروح شقتي براحتنا.

أومأت بالموافقة مع ضحكة أخرى.

أشار للنادل...

هاني: أه صح نسيت، أنا بقيت عنيف أووي.

شربوا الكثير في طريقهم للمنزل، وصلا، تناثرت ملابسهم في أرجاء المكان، ظهر القرصان القبطان، مختلفاً! لا يرتدي ملابس قرصان، أشبه بملابس النازيين، مليئة بالجلود السوداء! يحمل بيده كرباجًا طويلًا، لا يحتاج لسفينته، لا

يوجد بحر من الأساس! بل زنازين مغلقة بإحكام، بها مخلوقات عجيبة قابلها في رحلات صيده المتكررة، حية، جميلة، يسرق جمالها العين، إلا عيناه.

أصابه الإعياء! أراد سكب دمائها! جلدها بكرباجه الطويل، دخل إليه مخلوق رقيق، مقيد بالحبال والسلاسل، جلده! سالت دماؤه، لا يستطيع الحراك بسبب قيوده، صرخ بصوت عالٍ مع كل ضربة.

انتهى، فك قيده، هرب المخلوق.

مني : انت اتجننت؟!

صرخت به في فزع.

تكلم ببرود، يرفع كتفيه.

هاني : قلت لك بقيت عنيف.

مني : ماتكلمنيش تانى، ولا تجي لي الكباريه.

استدارت مني تنتظر مناداته ألا ترحل، تركها حتى اقتربت من الباب، فرك إصبعه، نظرت خلفها، أمسك بحزمة أوراق مالية ألقاها تحت قدميها.

هاني: أجرتك يا بيبي، خديها من الأرض بدل ما تسرقيها.

هربت دموعها.

منى: أنا كنت هارجع لك الفلوس تاني، أنا باحبك.

ضحك بسخرية، بدأ في الغناء.

هاني: حب إيه اللي انت جاي تقول عليه، ما خلاص مافيش حب تاني بعديه.

تجمدت قدماها، لا تعلم ما العمل، نزفت عيناها! تحتاج الأموال، انحنت تلتقطها بذل.

منذ بدأت عملها بالملهى لم تشعر برخصها إلا اليوم، سلعة! تخبر نفسها يوميًّا أنها مجرد وظيفة مثل غيرها، أموالها مرضية.

هربت للخارج، ظهر الكائن، انحنى له.

فوبوس: أتيت بهدية لسيدي.

هاني: خليها بكره الصبح كدا الواحد يغير بيها ريقه برضه.

الكائن: أمرك سيدي، فلتخلد لنومك، سأعمل على حمايتك من تلك الأحلام المزعجة سيدي.

خلد لنومه مطمئنًا.

○●○

وجد نفسه في فضاء مظلم، موحش، بارد، لا يرى شيئا، تحرك، اشتم رائحة غريبة، شعر بتيار هواء منعش، توقف يستمتع بالهواء، سمع صوت أمواج تتزاحم، تتضارب، تلمس قدميه العاريتين، تقدم، غطت المياه قدميه بالكامل، صوت صفير جميل، ضعيف، لحن مألوف اعتاد سماعه!

دقق النظر، إنها الجزيرة، المخبأ.

لمع ضوء بالسماء، نجم؟! سطع ليملأ السماء بلون أزرق كضوء القمر، لكنه أقوى، سقط، تابعه باشتياق، يدفعه الفضول.

اقترب منه، سيسقط فوقه.

فزع، ركض لكن الجرم غيَّر مساره! تحرك تجاهه، يلاحقه أينما هرب.

جحظت عيناه، بحث عن شيء يحتمي تحته، سمع صوتًا عرفه جيداً، نادى باسمه، التفت خلفه.

شخص طائر، جميل، ارتدى درعًا ذهبيًا لامعًا، له أجنحة من ضوء أزرق خافت، معه سيف مضيء، غطت النقوش ذراعيه وساقيه، بارزة، تضئ بلون غريب، لم يره هاني قبلَا بهذا الشكل.

انحني أرضًا، التقط حجارة.

هاني: إيه اللي جابك، مش قلت لك هاموتك لو شفتك ثاني؟!

سدد الحجر بوجهه، أصطدم بالخوذة.

هاني: مش هتضحك عليَّ تاني.

غطى المحارب وجه هاني بيده ممسكاً برأسه، ألقى بها.

فوجئ بجسده يميل تجاه السيف، فقد توازنه، كالريشة بيد المحارب، لا يعلم كيف انتهي به الحال مواجهًا لحد السيف، يتحرك الحد سريعًا لعنقه.

استل المحارب سيفه بكلتا يديه! طوح به عاليًا، سدد ضربه قوية لشيء ما.

اعتقد أنها النهاية، ظهرت حقيقته أخيرًا، هذا مراده من البداية، يوقع به قتيلًا وسط فضاء مهجور.

مرت رأس هاني أسفل ذراع المحارب.

التفت للخلف لا يدري ما حدث، ظن أنه سيقتله من الخلف، أراد مواجهته حتى في لحظاته الأخيرة، النظر في عينيه قبل موته، قبل الفتك بعنقه، خائن.

فوجئ.

وقف المحارب مستلاً سيفه، قبض عليه بكلتا يديه، كدرع يحمي كليهما.

تسلل خلفه دون الشعور به.

ذيل الكائن الغريب يسدد ضرب قوية تجاههم، تصدى لها المحارب، شوقي.

○●○

استيقظ فزعًا لا يدري ما رآه للتو، من المفترض أن المخلوق يحميه.

فرقع إصبعه يبحث عن إجابات، ظهر مخلوق آخر يشبهه لكنه ليس هو!

هاني: أين ذهب خادمي؟!

انحنى له، خيل له كما لو كان ابن المخلوق الأكبر.

المخلوق: إنه قادم سيدي، انشغل قليلا، أستطيع فعل أي شيء تريده لحين عودته.

أشار له بالانصراف.

اختفى، تصاعدت شكوكه.

ذهب ليستعد لعمله، وقعت عيناه على الحائط.

رفضت أن تُنسى.

حائط مكون من خيوط متداخلة، بعضها من بقايا الوردة، البعض من الحائط القديم، تملؤه الشروخ.

ينظر داخل قلبه! يشبه الحائط، تتبادل أنسجته عصيرها، قوامها، ممزق بالحزن، مهترئ، لا يبالي بشيء، بقايا حلم مدفون تحت الأتربة.

هربت دمعه منه، مسحها سريعًا، أكمل استعداده، صبر نفسه بالهدية، انطلق مسرعًا لعمله.

○●○

هاني

عاد لمنزله، وجد خادمه في انتظاره، سأله عن اختفائه منذ الصباح الباكر.

الكائن: كنت اعمل على حمايتك من الأحلام سيدي، كما أني كنت أعمل على هديتك.

كعادته يركع، يخبئ وجهه بالأرض، يضحك بخبث.

لم يلاحظ ضحكته، وبخه لفشله في حمايته.

الكائن: آسف سيدي، لكنه هرب.

تعجب، استفسر عن الهدية.

الكائن: ستثير إعجابك.

تشوق لها، أشار الكائن بإصبعه للسماء، أنزل إصبعه ببطء يشير لهاتفه، رن الهاتف، صوت رسالة.

متعب، لم يرد الرد، نظر لهاتفه حريص ألا يفتح التطبيق.

هاني: مجهول، هاي، أنا هاجر، وانت؟!

الكائن: استمتع بالهدية سيدي.

اختفي، تركه، تناول طعامه وحيدًا، باردًا، فقد مذاقه.

الجو مظلم، باهت، بارد، بلا روح، كمنزل مهجور.

انتهي سريعًا، عاد لغرفته، ألقى بجسده المتعب على الفراش، كورقة مهملة، سقط على وجهه دون حراك، هدأت أنفاسه المطربة، سكنت روحه، قل ارتفاع جسده مع كل نفس، حتى توقف.

o●o

تمنى لو توقفت أنفاسه، لكنه ضعف، عاد يشهق مطالبًا الهواء بالدخول لرئتيه، كمحارب أصيب بسهم قاتل، عاند روحه لتظل داخل ضلوعه كلما شارفت على الخروج، شهق، يطالبها بالعودة.

اعتدل في جلسته، نظر للسقف يتأمله، تمكنت منه الذكريات، كادت تقتله.

استقبل هاتفه رسالة أخرى، نفس الفتاة، تردد! إنه غير صالح لأي فتاة، لا يريد أذيتها.

هاني: هاي، أنا هاني، أنا وحش ابعدي عني.

هاجر: ليه بتقول كده؟! انت اكيد مش وحش.

تعجب من إصرارها، لا تعلم عنه شيئًا، مجرد مجهول.

لا مفر، قرر هاني إخراج قليل مما بداخل صدره.

هاني: حياتي مدمرة، باعمل حاجات كتير وحشة، كل ما أحاول أبطل واحب حقيقي تحصل حاجه تبوظ الدنيا وترجعني لنقطه الصفر من تاني، أنا تعبت مابقتش عارف أروح فين ولا آجي منين.

أغلق هاتفه، وضعه بجانبه، توقع الحظر، انتظره، صوت رسالة جديدة.

هاجر: بس انت كويس أهو، على الأقل بتحاول، حتى لو مش عارف تبطل بس على الأقل بتحاول.

غضب، أراد حمايتها من نفسه.

تكلما كثيرًا، أخبرها بكليته، كرهه لها، إنها سبب تعاسته، استعباده اليومي في عمله المهين، ضغط على أهله ليدخلوه الكلية، تفكيره الغبي قبل دخولها، خسر حلمه وأمواله أيضًا، نهايته كل طماع.

هاجر: ما خسرتش أي حاجة لسه الفرص قدامك كتير.

هدأت روحه قليلا، استكانت كمحارب عائد لمنزله بعد حرب طويلة، مملوء بالجراح العميقة، يحتاج لمن يداويه.

أخبرها بحبه للرسم، أخبرته أنها تخصصت في الفنون الجميلة!

أرسلت بعض لوحاتها، آية في الجمال! كأنها حية بها روح تسكنها تحكي قصته كاملة! ألوانها متناسقة تبعث شعورًاً غريباً بالدفء تعبر عنك بدقة.

أعجب بلوحاتها بدرجة لا توصف.

تذكر فيلمًا قديمًا.

هاني: هو بيخلوكم ترسموا ناس عريانة زي الأفلام بجد ولا أڤورة؟!

أرسلت إحدى لوحاتها، رسمتها لأشخاص بلا ملابس، مليئة بالتفاصيل كأنها حية.

اختبأ فوبوس بظلمات الغرفة يراقبهم بصمت، يضحك دون صوت.

هاجر: تعرف، بابا كان رافض يدخلني الكلية مخصوص عشان الحكاية دي، مع اني باحبها جدًّا.

تعجب، سألها كيف دخلتها؟! أخبرته أنها مازال غاضبًا منها.

ضحك فوبوس.

أعطاها محاضرة عن أهمية الوالدين، أهمية الرسم! أخبرته عن محاولاتها السابقة.

ظهر شوقي، تقدم تجاه هاني، وضع سماعات بأذنه يستمع للموسيقي، تسلل فوبوس خلفه، كتم فمه.

اختفيا.

سمع صوتًا ضعيفًا لم يفسره، تجاهله.

هاني: طيب أقول لك على فكرة حلوة، ارسمي له رسمة عادية عن حاجة هو بيحبها، هيفرح بيكِ قوي.

هاجر: عملت كده فعلًا وفرح قوي بالرسمة، لدرجة انه علقها في الصالة، استنى اوريها لك.

أرسلت لوحة أخرى، آية في الجمال، سماء يتوسطها بدر بمنتصف الليل، رُصت النجوم حول البدر كجنود مستعدة لحربٍ القادمة، دققت بإبراز اضطراب السماء كأن هناك حربًا دائرة بين نجوم بيضاء، نقية، ونجوم حمراء، محترقة.

هاني: ليه حق تعجبه، أنا لو مكانه كنت علقتها في السما بين النجوم.

احمرت وجنتاها، كتبت بضع الحروف، مسحتها، اعتدلت تفكر قليلاً، كتبتها، ضغطت إرسال، أقفلت هاتفها بسرعة! اختبأت تحت الغطاء.

هاجر: أنا ابتديت اعجب بيك.

فرك فوبوس يديه ببعضها، يستعد لشيء ما.

هاني: وهتعملي زي اللي قبلك وتسيبيني برضه.

أصدر هاتفها صوته المعهود، خافت، لا تريد الاقتراب منه، نزلت من سريرها، دارت في أرجاء الغرفة.

هاجر: لا عمري ما هاسيبك أوعدك هافضل جنبك كل يوم.

توقف للحظات، إصبعه حائر بين آلاف الحروف، لمس أربعة فقط، الباء، الحاء، الباء، الكاف.

ابتسم فوبوس، اختفى.

هاجر: انت بتعمل إيه مع البنات؟!

ابتسم، علم مرادها.

هاني: عاوزة تعرفي ولا تجربي؟!

هاجر: الاتنين، البيت فاضي وهاعرف آخذ راحتي.

ما الفرق بين العاهرة، ومن تزوجت محفظة ذكر تدلدل كرشه أسفل ركبتيه؟!

الجميع شرفاء حتى تأتي العاهرة، الجميع شرفاء حتى تحضر الأموال يا صديقي.

o●o

هاجر: بص انت بجد حد حلو جدًّا، ومحترم جدًّا جدًّا، وبتحب تساعد الناس، دي حاجة نادرة جدا دلوقت، وشاطر قوي، وذكي وحنين، أنا حبيتك في الوقت القصير اللي عرفتك فيه، متضايقة قوي وانا باكتب لك المسج دي، بس صدقني غصب عني! تليفوني بيتفتش يوميا، مش هينفع أسيب التطبيق، لازم امسحه، اتمنى بجد انك تحاول تبطل اللي بتعمله، انت قوي، طيب، وتقدر تبطل! واثقة انك هتبطل، مش هانساك أبدًا.

بارد على غير عادته، لم يحزن! ألف ذلك الشعور اللعين، صادقه، اكتفى بإرسال كلمتين فقط، كنت متأكد.

أغلق هاتفه، عاد لسفينته، وجهه للأسفل، يخفي حزنه بين ثنايا سريره.

في مكان مظلم، بارد، لا ترى فيه أصابعك، تربع فوبوس فوق عرشه، عيناه تلمعان بلونهما الأحمر المعتاد، يداعب ذيله، تقدم مخلوق غريب، كطفل مشوه ناتج من زواج أخوة أو تجربة غريبة، يشبه فوبوس.

المخلوق: مؤشرات الحياه تضمحل.

فوبوس: ماذا فعلت هذه المرة أيها الأهوج؟!

لمس المخلوق قرن فوبوس المسنن بيده، سالت دماؤه فوق الأرض، ذابت! دماؤهم حمم بركانية، أمسك فوبوس يده، دفعها بعنف لفمه، أغلق أنيابه بشراهة، قضم يده كاملة.

هرب المخلوق ممسكًا بيده متألمًا، يصدر صوتًا كصوت كلب غُلب على أمره.

رأى الأحداث التي عاشها هاني.

فوبوس: أحمق، لماذا أرسلت تلك؟! أخبرتك أن ترسل الخادمة فرحة، موعد عقدها اقترب كثيرًا.

اختفى.

o●o

غرفة هاني، يحبس أنفاسه، شعر بدوار، أغلق عينيه متمنياً لو استطاع منعها للنهاية، ظهر خلفه، لمس هاتفه، أضاء في وجهه، انتبه له، فتح عينيه، أخذ نفسًا عميقًا، يفكر، أمسك به وكتب:

يا من مررتِ من أمامي،

زيدينِي من حبك يا ذات المعاني

خفيفة الظل رقيقة الخطى،

لكني في حزني أعاني.

يا ويلي جاءنا البيان التالي،

في يوم وليلة صرت صديقي المثالي

اخترقي أبواب الأماني،

أصبحتِ حبي وكل آمالي.

أبًا وأخًا وكل غالٍ،

لم أعلم أنه لص يسرقني.

ينشلني من كل أموالي،

ليتني كنت لهمي أبالي

اختفى صديقي المثالي.

يا من مررتِ في روحي،

لماذا فتحتِ المداس

لكي أعاني؟!

لما تدخلني داخل الفؤاد المفقود؟

أليس كافيًا ما به من وقود؟!

ترك هاتفه، غط بنوم عميق.

عاد لعرشه، تغلي الحمم البركانية بعروقه.

فوبوس: الآن دع الخادمة فرحة ترى ما كتبه، ولا تخفق هذه المرة يا أحمق.

○●○

فرحة

صوت هاتفه، رد أحدهم على كتابته، كان يحارب أحلامه، يغفو قليلًا، يعود لأرقه، اكتئابه، تفقد هاتفه بين الحين والآخر، بحث عن ملجأ، شخص ينتزعه من هذه الحالة.

مجهول: هاي، مالك؟!

سأل من تكون، أخبره اسمها، فرح، ترك هاتفه، يقاوم رغبته في البوح بكل شيء، لا يهتم من يحادثه، أراد مشاركة الحمل فقط.

سألته عن كل شيء، اسمه، سنه.

هاني: سني صغير، بس أنا عجوز، كهل جار عليه الزمن.

أخبرته بسنها، ١٩ عامًا، حاولت معرفة ما به؟!

هاني: وبعد ما احكي لك؟! هنحب بعض شويه وتسيبيني، زي كل اللي كانوا قبلك؟!

انتظر طويلاً، تأخر ردها.

فرح: ومين قال لك اني هاحبك أصلا؟!

هاني: انتِ مش هتحبيني بس، لا انتِ كمان هتسلمي لي نفسك، وفي الآخر مش هاشوف وشك تاني، الظاهر العيب فيَّ.

أخذ نفسًا عميقًا، كتمه بداخله، انتظر جوابها، أرادها أن تعبر قوقعته!

فرح: تصدق فكرة، أنا هاسلملك نفسي على طول.

هاني: بس هاتعبك، هاضربك! أنا مجنون! ابعدي عني.

ألقي بهاتفه، أرادها أن تبقي، مختلفة عن البقية، لكن ألمًا غريبًا بصدره منعه، ذكره بماضيه.

ذهب للحائط، به بضع قطرات دماء، كلما ضاق به الحال، تخيله خصمًا يلاكمه، يتفادى ضرباته، سالت الدماء من بين أصابعه، تنوح حاله.

عاد لهاتفه، وجد رسائل كثيرة تخبره بحبها، تشجعه لضربها، تبوح بغضبها من التطبيق، جميع من به يستمتعون ليلة واحدة ليختفوا مجددًا، جميعهم أنذال.

ظن أنها هنا لتلهو فقط، تقضي ليلة جميلة ثم تختفي.

فرح: ولا أنا بتاعة ليالي، أنا عاوزة واحد يقف جنبي.

تبدو محطمة، مثله.

هاني: هتستحمليني؟!

فرح: أنا ملكك.

ظهر القرصان القبطان، ممسكًا سوطًا بيده، لا يوجد أعداء، يضرب طاقمه! ينتقم منهم، تذرف عيناه في كل ضربه، لكنه لا يتوقف! ينتقم من أمواج البحر، أرست سفينته وسط صخور، غرقت، جُرح طاقمه، استمتعوا بما يحدث! يطالبونه بالمزيد! ألقى سوطه جانبًا، سقطت وحيدًا.

فرح: بهدلتني، بس مبسوطة.

من أين أتت؟! كيف تكون فرحة بعد ما جرى؟!

فرح: مش هتحكيلي بقى متضايق من إيه؟!

تردد، لكنه أخبرها بكل شيء، فشله، ضياع أحبابه، سألته عن كليته.

أخبرها، لكنه تعجب، لمَ السؤال؟! أتتأكد من أحواله المادية؟! طمأنته قليلًا، أخبرته أنهم هكذا دائما، الأطباء، يشعرون أن العيب فيهم.

توقف عند رساله عجيبة، أخبرته أنه من المحتمل خطؤه في اختيار المكان للبحث فيه عن ضالته! أخبرها بأكثر من تجربة! أكثر من مكان، النتيجة واحدة دومًا.

فرح: أهم حاجه تهدي، ما فيش بنت هتقبل اللي عملته معايا ده، هتعمل إيه مع مراتك؟!

علق آماله عليها! لمَ يستمر البحث؟! حاولت الهروب، نصحته بلعب رياضة ليخرج طاقته تلك، أخبرها أنه زبون مميز لأقرب جيم لمنزله.

أخبرته بغرامه! قال لها إن هذا سيحدث مسبقًا! ناداها باسمها مداعبًا.

فرح: مين فرح؟! اسمي فرحة.

أراد رؤيتها لكنها خافت، أخبرته أن يتمهل قليلًا، متعبة، أرادت النوم.

هاني: خايف أسيبك.

فرحة: هاكلمك، بس من أكونت مختلف، لازم امسح البرنامج، هانزله تاني قبل ما أكلمك.

علم تلك النهاية جيدًا، حُكم عليه بالوحدة الأبدية.

أغلق هاتفه، ألقاه بعنف، كاد يحطمه، أغلق عينيه، نظر لسقف غرفته، مليء بالشروخ والصدوع، باهت، كتم أنفاسه لعله يعود للنوم هنيئًا ولا يستيقظ منه.

ليلة باردة، رأى أنفاسه متجمدة، بخار من فيه، كمن اعتاد التدخين أعوامًا، لكنه كتم أنفاسه، من أين أتي الدخان؟!

صوت هاتفه، منبهًا أعده ليستيقظ، تحرك، كإنسان إلى حفظ حركاته مسبقًا، يفتقد للحياة، للإحساس.

روتين يومي، وقف أمام مرآته، ألقي وزن جسده على ذراعيه المفرودين كعوارض قوية تسنده على الحوض الذي ملأه بمياه، يصدم بها وجهه، ظهر انعكاسه عليها، تأمله، هربت دمعه، سقطت في المياه، عكرت صفوها بعثت أمواجًا هزت انعكاسه، كما هزت فرحة كيانه.

يتراقص قلبه مع كل موجة، شعر بضعف حاول إخفاءه، نثر المياه على وجهه، يخفي قنوات المياه التي حفرتها دموعه، ينقط وجهه ليعكر صفوها مجددًا، بهتت صورته، نفسه! لا يراها بعد، ضرب المياه بيده كخصم يلكمه.

المياه عدو ماكر، تلتصق بيديه، تنساب بين أصابعه، تهدئها! تلطف حدتها، سدد ضرباته، المياه ثابتة لا تتغير، تناسب، تلطف، خير صديق.

رأي انعكاس شوقي لوهلة، فزع، نظر خلفه، لا أحد! قفز من مكانه، عاد للمياه يحدثها كالمجنون.

هاني: شوقي، جيت هنا ازاي؟! متأكد انك موجود، فهمني قصدك إيه، اللي فهمته صح؟

لا إجابة، تأمل، شعر بداخله أنها بوابة، يتحدث منها لشوقي، ارتجفت أطرافه، انتفض، هرب مذعورا، كشاهد لجريمة قتل! لصق ظهره بالحائط، علقت به بقايا الوردة، أسرعت أنفاسه، ألم يعتري صدره، صوت يناديه! بعيدًا، صوت نادين: "شوقي، شوقي".

سارعت دموعه، تنساب لتترك هذا الجسد البالي.

انزلق ظهره، سقط أرضًا، ضم قدميه لصدره.

هاني: شوقي، شوقي، أنا غبي، حد يدور على حب هنا؟!

نظر لهاتفه، للتطبيق، أطلق عليه "تطبيق اللعنة".

رأى شوقي، يصارع فوبوس ببوابة المياه، انغرس ذيل فوبوس كالسهم المسموم في كتف شوقي، ظهرت علامات الألم الشديد على وجهه، هاني مُمدد على الأرض خلف شوقي، فوبوس يهاجم! شوقي ممسك بسيفه اللامع، كثيرًا ما أخفاه! لا يحب إظهاره إلا للضرورة القصوى، صد هجمات فوبوس فقط، يحميه.

عاد لغرفته، ارتدى ملابسه، هرب سريعًا خارج منزله، شعر بخوف شديد من العودة، أراد الابتعاد فقط، ذهب في طريقه للعمل، المشهد عالق بذهنه، سرق تفكيره طيلة اليوم، تفقد هاتفه بين حين والآخر، يتأكد من صحة كلام فرحة.

انتهى عمله، توجه خارجًا لا يدري إلى أين، خاف العودة، وجد نفسه أمام النيل في مكان تأجير المراكب، سيمضي باقي يومه بصنع القلائد، باحثًا عن بعض الأجوبة، عن الهدوء.

تحطمت صخورها كأن حرب عاتية قامت فوقها، أسرع يتفقد قلائده، وقعت عيناه عليها، تركها في مكانها كما وجدها، قلادة نادين، لمَ تركتها؟! أقتلها شوقي أم؟!

ضم قلادتها لصدره، قربها إلى قلبه.

هاني: ليه كسرتِ قلبي، طب ردي عليَّ آخر مرة، فهميني السبب، أنا؟!

سمع صوتها، تردد: "شوقي، شوقي:.

هاني: شوقي السبب؟! انتِ تعرفيه منين؟!

صوت نادين: آسفة، السيف.

صوتها يخرج من القلادة.

هاني: قصدك إيه! انطقي أرجوكِ، قصدك إن سيف شوقي هو....

ظهر فوبوس فجأة، لم يره، قدم من خلفه، لمس هاتفه بذيله، صوت رسالة، أسرع له.

هاني: مين؟!

مجهول: لحقت تنساني؟!

هاني: فرحة.

ابتسم، أخبرها أنه انتظرها اليوم كله، كاد يفقد الأمل.

فرحة: مش قلت لك مش هاسيبك.

نسي نادين، شوقي، اهتم بفرحة فقط.

هاني: أمال كنتِ فين؟!

فرحة: نايمة، انت تعبتني خالص، يادوب صحيت.

عاد كطفل صغير، أرسلت صورتها.

فرحة: مش كنت عاوز تشوفني؟ بذمتك لو با كذب ها بعتلك صورتي؟!

ابتسم، حفظ صورتها في قلبه، صارحته بحبها، تعجب من سرعتها.

وقعت عيناه على القلادة، تذكرها.

هاني: حب إيه اللي جاي تقول عليه، ما خلاص مافيش حب تاني بعديه.

اخبرته بحبها لحنيته، طيبته، بالرغم من عنفه، غضب،! خاف عليها من نفسه.

فرحة: أنا موافقة، أول مرة احس ان فيه حد خايف عليَّ زيك كده، أوعدك، لو بمزاجي مش هاسيبك أبدًا.

أخبرها بمدى فرحته بها.

فرحة: بصراحة عاوزاك، زي امبارح، جننتني!

أسرع بالعودة، لم يلاحظ وجود فوبوس، التقط القلادة التي نسيها هاني، أحرقت يده، ألقاها بعيدا في النيل، تعلن انهزامها، تصطدم بأعماقه، تعلن موتها بجانب صاحبتها، التهمها النيل.

عاد لمنزله، خرج القرصان القبطان، صوته الضخم المرعب، سلاحه بدل من سيفه، ضرب به الأعداء ليؤلمهم، يضحك منهم، نسي سيفه! نسي دماء أعدائه المسالة على جانبيه، كان سيفه يرعبهم، فقد نبله، قلبه.

أغلق أضواء المنزل، أزعجته، أراد السكون، تمنى لو ساعده الظلام بفهم ما يحدث، لعله يستغل هذا الظلام، ينهي حيرته.

o●o

وجد نفسه في زنزانة قديمة من العصور الوسطى، ضرب عوارض الباب الحديدي الضخمة، عبثاً! هدأ، وقعت عيناه على الجدار، رأى طلاسم محفورة، مطلية بالدماء، وجد تشابها، رمزًا متكررًا، بعض الأوجه مكررة، أوجهًا يعرفها، طُبع رمز متكرر فوق وجههم، امتلأ بعضها بالدماء، باقيها لم يمتلئ بعد، تفقد جميع الأوجه، يعرفهم جميعًا، منهم أحد مرضاه، متوفى، يملك الرمز، وجهه مليء بالدماء، كعداد امتلأ إلى آخره، نظر للبقية، ما معنى الرمز؟!

شعر بوجودها، كذب إحساسه، صارع نفسه، تخشب مكانه! وجد ضالته، مستحيل، نادين هنا؟!

وجهها الرقيق! عيناها تبكيان، تنقط قطرات دماء، صرخ، رفض وجود نادين هنا، إنها ملاك! رأى ذكرياتهما داخل وجهها، بكى.

دموعه غريبة، لزجه! مسحها، نظر إلى يده، دماء.

رأى صورًا لها، تتركك قلادتها في الجزيرة! ا وجد الرمز، فوق جبينها.

اقترب يرتجف، حاول لمسها، مرت لحظات كأنها سنين، تمتد يده ببطء، تقطع آلاف الأميال في طريقها، لتصل جبينها، لتمسها بأنامله.

لمس الرمز، تغير فورًا، أصبح باللغة العربية، في منتصف جبينها، قراءه "تم".

لاحظ خطًّا يمتد من وجهها، يتصل بوجه آخر، كرهه، وجهه.

ممتلئ للنصف بالدماء، بدأت تظهر "تم".

رجع، اصطدم بالحائط، لاحظ خطًا آخر متصلًا من وجهه لوجهها مرهق، حزين، تذكره رآه حديثا، فرحة، بضع قطرات حتى يمتلئ عداد وجهها، الرمز، بقي القليل حتى يتم.

التصق بالباب خوفًا من الحائط، فُتح، وقع على ظهره، نظر خلفه، لا أحد، من فتحه إذن.

صوت هتاف جمهور عظيم، وجد أمامه ممرًا، في آخره ضوء خافت، الأمل! ركض في اتجاهه، وجد نفسه داخل حلبة رومانية قديمة، ممتلئة بالجمهور العريض، هتفوا بلغة غريبة.

وقف شخص ممشوق جسور، ارتدى ملابس جندي روماني، يجلد آخر بسوط عريض، طويل، قاسٍ، لمح وجهه المتألم، تحجرت قدماه، كان شوقي.

بجانبه جثة، لم يره لفترة، حذره شوقي، أخبره بحاجته إليه، بابا ذكي.

لمح وجه الجلاد، عرفه، إنه هو، هاني.

دقق النظر في عينيه، تحولت لعين المخلوق، نمي له ذيل، خرج من جسده، على صوت الجمهور، نظر لهم، يشبهون المخلوق.

○●○

استيقظ فزعًا، جلس بسفينته يجمع أفكاره، التقط قلمًا وورقة بدأ بالرسم، لا يعلم الرسم، تجربته الأولى، رسم سلسلة حديدية ضخمة، تمسك بعنقه، متصلة بوجه لا ملامح له، يحترق.

ترك رسمه، ذهب يغسل وجهه أملًا في تفسير، تمنى محادثة شوقي! لمَ لا يتحدث لفرحه، فتح هاتفه، بعث لها.

صحح بعض الخطوط في رسمته منتظرًا ردها، أضاف يدًا ممسكة بالسلسلة الحديدية، بها عروق بارزة، مشوهة.

مل انتظاره، لا رد منها، ازداد قلقه، بدأ في الاستذكار، اقترب موعد آخر اختبار في نهاية العام.

صنع قهوته، عشقها سوداء قاتمة، بها أقل القليل من السكر، الكثير من المرارة، حاول الاستذكار، تفقد هاتفه بين الحين والآخر، شعور غريب يراوده، إنها مريضة، ربما لهذا الحلم علاقة بها، تفسير حلمه، ماذا لو امتلأ عداد الوجه بالدماء، تمنى لو كان مجرد شعور خاطئ.

شارف اليوم على الانتهاء، شرب الكثير من القهوة، يصنع الفنجان الرابع له!

سمع صوتًا حفظه، سكب قهوته، ركض فرحًا، يجيب هاتفه.

أرسل العديد من الرسائل فرحصا بردها، ظن أنها تركته، سألها عن تأخرها.

فرحة: كنت في المستشفى.

تفسيره يميل للصواب، هز رأسه، رفض التفسير، عاد يسألها، يقنع نفسه أن أحدًا آخر قد سقم، يخبرها بكونه طبيباً، يطمئنها.

فرحة: عادي، أغمي عليَّ.

تملكه الخوف، تذكر عداد الدماء، أخبرته أنها معتادة مثل تلك الأشياء.

ألح عليها لتخبره، مشى يأتي ويذهب بطول الغرفة مضطربًا، منتظرًا جوابها.

فرحة: أنا عندي سرطان في الرئة في مرحله متأخرة، دايما يعملي كده.

فرحة

انتهت معركتها مع هاني، وبخت فيها نفسها! تقدمت بضع خطوات، أغشي عليها.

سمع أبوها صوتًا عاليًا، أسرع بها للمشفى المعتاد.

قدموا لها اللازم، لكنها حُجزت، حُدد لها موعد عملية.

بقت بالمشفى طيلة اليوم، حزينة، تنام تارة، تصحو تارة أخرى، تتذكر هاني، تحاول أن تبعث له شيئًا، لكن لا يوجد اتصال بالشبكة.

سمعت صوتًا يدوي في أذنيها، يدعوها للكتابة! ميزته، صوتًا عرفته جيدًا منذ سنوات! فقدت الأمل في عودته مجددًا! لمَ عاد؟! لمَ يوحي لها بعد أن باعته؟! بابا شوقي.

o●o

مقدمة

مقومات البقاء، ثلاث، طعام، ماء، هواء.

أما مقومات الحياة؟ ! واحد فقط، الحب، بكل صوره.

هذا ما كنت أعانيه منذ الطفولة، بقاء بلا حب، لا تدعي هذه حياة.

مش عارفة بابا شوقي بيقولي أكتب الكلام دة ليه؟! يمكن عشان أهدي نفسي؟! الكتابة بتساعدني أهدا.

أو عشان كنت عاوزة أكلمه ومالقيتهوش، عاوزة أودعه! حاسة إنها آخر مرة هاشوفه فيها، آخر مرة هاقدر أحرك إيدي فيها!! قبل ما اقطعها!!

الوداع.

o●o

تجربة: الفصل الأول

عزيزي القارئ، أنا فرحة، بحب الكتابة قوي، بس ماعنديش حظ، أنا دائما كده حظي قليل، اتخلقت خدامة، هاموت عبدة! مافرقتش كتير، ما تفهمنيش غلط

مش خدامة في البيوت، خدامة عند أبويا، أصل أبويا بيكرة البنات قوي، طول عمره نفسه في ولد، لسه فاكرة خناقته مع ماما، "الله يرحمها".

لقيته متعصب حاولت العب معاه عشان يهدي، قالها تشيلني من قدامه كأني حد من الشارع، بيقولها بنتك!

أول مرة بابا يضربني، أو يمكن أول مرة فاكراها، كنت فرحانة قوي انه رجع! مستنيينه من الصبح أنا وماما، أول مرة ادخل المطبخ، طلبه! دايما يقولها مكانكم المطبخ انتوا الاثنين، أنا سمعت كلامه عشان باحبه، فجأة لقيت قلم كبير قوي زي مخلب حيوان مفترس بيهجم على وشي، مكان مخالبه علمت بالأحمر، بكيت، مش من الألم، لا، عشان الحيوان المفترس ده يبقى بابا.

ماما جريت عليَّ تلحقني من إيده، انا مصدومة، دموعي بتزل لوحدها في صمت رهيب، أصله بيكره الصوت العالي.

نفس الحيوان المفترس، طلع يجري زى الأسد، ينقض على فريسته، بنته الصغيرة ومراته.

نفس القلم، مش عارفه اعمل إيه.

لقيت بعدها ضرب من كل حتة، ماما بتحميني بجسمها، عملت من لحمها درع، افترسها هي بدالي.

بابا: كل يوم كده، خلفتك تقطع الخميرة من البيت، مش عارفه تجيبي لي الواد اللي باتمناه من الدنيا، ادخلي قدامي الأوضة يلا نجيب الواد.

ماما: نسيت كلام الدكتور؟!

ماما بعد ما خلفتني حصلت لها مشكلة، ماعرفهاش! كنت صغيرة مافهمش كلام الدكاترة، بس اللي اعرفه انه ماكنش ينفع تحمل تاني وإلا هتموت.

دخلوا الأوضة، سمعت صوت ماما، عالي قوي! ماكنش صوتها اللي اعرفه، لا، ده صوت حد بيتعذب! بتصرخ جامد، صوتها لسه في ودني لغاية دلوقت.

طفلة صغيرة بتلعب مع أسد كاسر عينيها، وهي بتضفر شعره الدهبي، الحلو، وتعمل له ضوافره عشان يغرسها في رقبتها! تايهة زيي بالضبط، زي لما كان بابا بيسيبني في الشارع ويمشي قدامي بسرعة، أتوه وافضل ماسكة دموعي، عشان اعرف اشوف وشوش الناس كويس.

طلع من الأوضة، أسد خارج من عرينه، مع مراته، على وشه ابتسامة انتصار غريبة، عمري ما فهمت معناها! دخلت اجري لماما، اترميت في حضنها، اتخضيت، عينيَّ فضلت تنزل دموع! ماما نايمة تعبانة خالص، بتتحرك بالعافية، هدومها مقطعة، نقط دم كتير على السرير، جسمها مليان كدمات وجروح، سألتها؟! قالت لي ان بابا بيحبها قوي، كان بيعلمها حاجة بتاعة كبار عشان يجيبوا لي أخ! يدافع عني ويحميني، قلت لها مش عاوزة اخوات! صوتها عالي قوي وانا خايفة، مش عارفة اعمل إيه.

ماما: ابقى اقفلي ودنك.

من ساعتها وانا تعودت اقفل وداني عن كل حاجة بتحصل، ما أنا أخري المطبخ، مش قلت لكم خدامة.

فجأة ماما تعبت، رجعت كتير، جه الدكتور زف لنا الخبر السعيد.

مايعرفش إن دي نهايتها، آخر صوت باقي منها صرختها في المستشفى، كل ما اسألها مالك؟! تقولي هاجيب لك أخ وأرجع، وصتني اقفل وداني.

نسيت تقول لي اقفل عيني، شفتها بتتألم، مستنيه تطلع، بس مطلعتش.

طلع اخويا بس، طفل رضيع، مسخ جديد؟!

الباب اتفتح تانية، شفتها فيها، كانت نايمة، بس ليه غطوا وشها؟! ليه بيحطوها في صندوق؟!

بابا ماسك اخويا فرحان بيه، عمال يرقص، يضحك.

تجربة: الفصل التاني

اخويا كبر وبقى عنده ١٤ سنه دلوقتي، راجل أهو بيفهم، بحبه قوي، الوحيد اللي فاض لي من ريحة أمي، ياريتني ما حبيته! يوم اتأخرت في الغدا، تعبانة خالص مش عارفة كان عندي إيه، فضلت ارجع اليوم كله، غير تعب كل شهر، بابا رجع من الشغل، كالعادة أول حاجة سأل عنها، الأكل، حتى ماسألش على بنته، مع انه شافني بارجع في الصبح قبل ما ينزل، دخل المطبخ مالقيش أكل، فضل يدور عليَّ لقينى في الحمام بارجع.

بابا: ما خلصتيش الأكل ليه؟! تلاقيكِ حامل من شقه الدعارة بتاعتك.

الكلمة خبطتني زي ما يكون عربية نقل محملة طن حديد خبطتني، أسياخ الحديد كلها وقعت عليَّ، تخرم جسمي زي الغربال.

نفسي اتخنق، نوبة كحة وترجيع هيستيري.

قفلت ودني، زي ما ماما علمتني.

بابا: يعني مافيش غدا؟!

الدموع هربت من عيني وحدها، آسفة يا ماما ماقفلتش ودني كويس، باضحك عليكِ واقول لك قافلاها، وانا سامعة كل حاجة.

كل حاجه بالتصوير البطيء، لقيت الحيوان المفترس ماسك البنطلون، فك الحزام، شده بالراحة من العلاقة، طلع الحزام كله، وقف ثواني عدت كأنها سنين.

بابا: مش بتردي عليَّ يا قذرة؟!

رفع إيده فوق بالحزام، نزل بيها بسرعة على ضهري، وجعتني أكتر من مية ضربة كرباج، كسرتني.

شتايم بأبشع الألفاظ اللي ممكن تسمعها بنت على نفسها، قفلت ودني.

أنا شاطرة يا ماما، صح؟! باسمع كلامك، لو سامعاني ردي عليَّ، أنا زعلتك في حاجة طيب؟!

اخويا، شلته جوه عيني، عشانك! الكلمة خرمت ودني ماعرفتش امنعها، بابا نادي على اخويا، كمل ضرب مع بابا.

اخويا دايما يعمل مصايب، لما بابا يعرف ويجيب الحزام، باخده في حضني، أخبيه! واسيبه يفترسني أنا! عارفة مش هيستحمل ضربة واحدة منه، دلوقتي كبر وبقى هو اللي بيضربني.

شفتي يا ماما اللي ضحيتِ بحياتك عشانه.

ليه بطلتِ تردي؟! أنا وحشة مش باسمع الكلام؟! مش باقفل ودني كويس.

أنا سمعت بعيني صوت ضربهم وأنا في الأرض.

جسمي بيتلوي بالغصب، ماكنتش عايزة اتحرك، موتوني عشان اخلص.

لقيوني باتحرك كتير، الحيوانات لسه ماارتاحوش، شدوني من رجلي زي الفرخة المدبوحة، مسحوا بيَّ البلاط، ربطوني في رجل السرير، إيديَّ ورجليَّ عشان مااتحركش خالص.

حاولت افك نفسي كتير لغاية ما هربت، طلعت اجري على الباب، وانا على السلم سمعت صوت، غبية! ماسمعتش كلام ماما برضه.

بابا : طب المرة دي وجت سليمة، وكان فيه دم، المرة الجاية هتعملي إيه؟! ولا انتِ أصلا رايحة تكملي في شقه الدعارة بتاعتك؟! عشان مايبقاش فيه مرة تانية.

كلامه دخل ودني زي العيار الطايش، عراني من هدومي وسط شارع مليان ناس، تأكل في جسمي، كأنهم كلاب بتنهش في لحمي.

كملت جري، عاوزة اهرب، أروح مكان بعيد عن عيون الناس.

سمعت صوت موسيقى حلوة، آسفة يا ماما، بس المرة دي مش زعلانة اني نسيت، المرة دي سمعت بقلبي، بيانو شدني له، خارج من محل أدوات موسيقية، مشيت ناحيته، وقفت برة القزاز اتفرج، واحد بيعزف على بيانو لوحده، المحل مليان ورد، أدوات موسيقية ملونة بألوان مختلفة تفرح، الموسيقي نستنى كل ألم فيَّ، ابتسمت لأول مرة في حياتي، ضحكت كمان، أنا ضحكت بصوت عالي، الرجل اللي بيعزف سمعني، غلط في النوتة، وقف عزف، بص لي، هيضربني زي بابا واخويا! رجلي اتحجرت مكانها، عيني متابعة، جالي مبتسم، سألني انا مين؟ كنت باتنفض من الخوف، الكلام طالع بالعافية.

الراجل: الله، اسم جميل، مالك خايفة ليه؟! دا انتِ حتى الفرحة نفسها.

ضحكت تاني.، وسط كل الألم ده عرف يضحكني.

فضل يضحكني، بصوت عالي، قال لي مابطلش ضحك تاني، قلت له إنها أول مرة اضحك، استغربني، فكرني بابالغ، قال لي ادخل اسمع جوة براحتي.

دخلت معاه المحل حسيت براحة غريبة زي ما تكون روحي رجعت لي.

سألني اشرب ايه؟ اتفاجئت! أول مرة في حياتي حد يعمل لي حاجة.

الراجل: يبقى اعمل لك قهوة، واسمع قصتك، انتِ جاية من الفضاء؟!

ضحك وانا كمان ضحكت، ماكنتش متخيلة اني ممكن اضحك كتير كده! كانت أول مرة اشربها، طعمها مُر قوي، ليه دايما الرجالة بتحب المُر؟!

قال لي هفهم لما اخلصها، حكيت له كل حاجة، بس حصلت حاجة غريبة.

الراجل: أخوكِ كسر نفسك النهارده لما ضربك بالحزام؟!

قمت مخضوضة، انا ماحكيتلوش اللي حصل النهارده.

مد لي ايده، بيسلم عليَّ.

الراجل: أنا شوقي.

سلمت عليه، قعدت تاني، صوته طمني، خلاني استنى باقي كلامه.

شوقي: عرفتِ ليه بنحب القهوة؟! خلتك تركزي! خدتِ بالك اني اعرفك كويس بس كنت مستني اسمع منك.

راح للبيانو، عزف عليه وانا باسمع ابتسامتي مافارقتش وشي طول اليوم، سألني حابة اتعلم؟! بيعمل كل ده عشان يديني كورس، ماحيلتيش فلوس.

شوقي: هدية.

علمني العزف! باعزف حلو قوي، مبسوطة قوي وأنا باعزف معاه ساعتها بس عرفت اقفل ودني.

ماما ردت عليَّ أخيرا! أنا مش مجنونة، سمعت صوتها بقلبي وأنا باعزف، كل ما اعوز اسمع صوتها اقعد اعزف واعزف لغاية ما اسمعها.

حلمت حلم، لازم احكيه لشوقي رحت له جرى دخلت عليه وهو بيعزف.

قال لي هيعمل قهوة ونقعد نحكي، حبيتها قوي، ضحك ضحكة خفيفة كده، جاب لي الفنجان، قعد جنبي، أخدت نفس عميق، اتكلمت بكل شجاعة.

فرحة: أنا عاوزة اثبت لبابا ان البنات مهمة زي الولاد بالظبط، عشان كده حلمي اني انجح في العزف وابقي عازفة وكاتبة مشهورة قوي، اتبسط خالص، بس سألني هاعمل اية عشان احقق حلمي ده؟! ماعرفتش ارد، تهت من سؤاله، استغربت من رده، هو اللي علمني ازاي احلم.

شوقي: غلط! الحلم حلو، الغلط انك ماتبنيش السلم اللي يوصلك له، انك تبقي مش عارفه هتعملي إيه؟!

حسيت حزن في كلامه، أول مرة.

سألني على الكتاب اللي اداهولي، سألني لو كتبت حاجة، حاولت أخبي، كتبت بس مش حلو، كان دايما بيشجعني، عمره ما كسر نفسي وقال لي على حاجة وحشة، دايما يحب يقرا اللي باكتبه وانا باعزف له، بيركز في الاتنين، ماعرفش ازاي.

عرض عليَّ يديني أول سلمة! بصيت له باستغراب، قال لي آخد بيانو من عنده، اتدرب عليه! ماعرفتش اوديه فين! بابا لو شافه هيدبحني، قال لي مش هيشوفه! أخد مني الموبايل، نزل برنامج غريب فضل يعزف عليه.

استغربت! هو ليه بيعمل معايا كده! قال لي اني بنته! هو متعود يعمل كده مع بناته و ولاده دايمًا!! بكيت، ماقدرتش أتكلم، ماقدرتش اقول له على اللي جوايا، بس هو فهم.

شوقي: اعذريه، هو اتربي على كده! أخوكِ زيه برضه، أعمي! عينه مفتحة بس قلبه أعمى، مايعرفش الحب.

فرحة: أنا باحبك قوي يا بابا شوقي.

شوقي: هتفضلي تحبيني على طول؟! ولا هيجي وقت وتنسيني؟!

فرحة: حسيت بالحزن في كلامه تاني، النهارده فيه حاجه مضايقاه، دايما الدنيا كده، ماتديلكش فرحة لآخرها.

عمري ما هنساك يا بابا شوقي.

حضني، فضل يطبطب على كتفي، ماشوفتش دموعه، بس حسيتها.

○●○

تجربة: الفصل التالت

تخيل تضيع روحك عشان حد سلم عليك.

صحيت مبسوطة، امبارح أول يوم اسمع صوت ماما في البيت من بعد ما اتوفت.

لازم احكي لشوقي، نزلت جري، في الطريق، قابلني شاب شكله حلو قوي، لابس بدله كلاسيك، شعره طويل، لونه بني فيه سنة أحمر كده، دقنه طويله، نفس اللون، معاه شنطة من بتاعة رجال الأعمال دي، أنا فكرته حد مهم، قلبي فضل يدق جامد لما وقفني.

لقيته بينده باسمي! خفت اتكلم، عرفني بنفسه، اسمه غريب، فوبوس! قال لي جايب لي عرض مايتفوتش، كل الشياكة دي، طلع في الآخر مندوب.

كنت هاسيبه وأمشي، مش عاوزة ولاعات ولا معجون أسنان، عاوزة بابا شوقي بسرعة، اهربي يا هبلة.

فوبوبس: إيه رأيك انشر لك مقطوعه بيانو باسمك.

مشيت بس وقفت تانى، اتصدمت! ماقدرتش أتكلم ولا اتحرك، سألته عرفتني منين؟!

فوبوس: من محل الرجل العجوز اللي ورايا، دايما عنده ناس بتعزف حلو مستنية فرصة، حد يكتشفها، يلمعها، العالم كله يعرف اسمها، ده دوري، كمان مابنساش نصيب الفنانة العظيمة في المبيعات.

سألت على النسبة.

فوبوس: كله في العقد.

فكرت جايب معاه عقد في الشنطة.

فوبوس: عقودي مش محتاجه امضا، بتتمضي لوحدها لو موافقة.

مد لي إيده، مستني ردي على العرض، أنا ماعرفهوش، بس محتاجة له.

فوبوس: اقبلي العرض، وانا هاخليكِ تثبتي نفسك للعالم كله، ولوالدك.

أنا عاوزة اثبت له نفسي، أنا عايزة اثبت للعالم كله، البنت زي الولد، مافيش بنت هتتحط في موقفي ده تاني، عاوزة الضرب والإهانة توقف.

فوبوس: وكمان ما فيش ضرب ولا إهانة.

هو بيقرا أفكاري ازاي؟! بابا شوقي واقف ورا عند المحل، مستني ارجع له! بيشاور لي كتير، بيعمل لي باي، بيدمع! ما تخافش يا بابا شوقي، مش هانساك، بس دي فرصتي، هارجع لك.

فرحة: توعدني؟!

فوبوس: وعد.

سلمت عليه! ساعدني، اتنشرت أول مقطوعة ليَّ، اتشهرت قوي، اثبتت مكاني، وقيمتي؟! أو بيتهيأ لي.

اليوم اللي بابا عرف فيه ضربني! كسر إيدي، وموبايلي.

بابا: انتِ مجنونة، عايزه تتشهري عشان زباين شقتك تكتر، عاوزة تبقى أحسن مني أنا وأخوكِ.

الظاهر كده في بيتنا البنت مواطن درجه ثانية، خدامة مالهاش حق الحلم.

ماستسلمتش، كلمت فوبوس يجيب لي موبايل جديد بدل نصيبي في المبيعات!

ماوافقش! قال لي اني مش هانشر أى حاجة تاني.

فرحة: انت نسيت العقد ولا إيه؟! مش كنت هتشهرني؟!

فوبوس: لا ما نسيتش، بس أنا شهرتك خلاص، انتِ نسيت باقي العقد، ماسألتيش عليه.

هو كان فيه باقي؟!

فوبوس: تمن الشهرة يا حلوة.

ماكنش بيعاملني كده؟! فيه إيه؟! ازاي نسيت التمن، نسيت كلمة بابا شوقي، مافيش حاجه ببلاش.

فوبوس: انتِ من النهارده عبدتي، فاهمة يعني إيه، بتاعتي أنا وبس، انسي أحلامك التافهة دي.

فرحة: مستحيل، انسى، اعتبر العقد بتاعك ملغي.

فوبوس: بتحلمي يا حلوة، انتِ مضيتي خلاص، روحك بقت ملكي.

فرحة: هتعمل إيه يعني، أنا راجعة لبابا شوقي.

ضحك، بصوت غريب، حيوان أسطوري بيضحك، مريض في مصحة نفسية، البدلة اتقطعت، خرجت جناحات كبيرة من ضهره، مليانة ريش اسود، مولع، آه بيتحرق! ديل طويل، آخره عامل زي راس السهم، قرون كبيرة، سودة! عضلاته، عروقه برزت منورة احمر، كأن اللي بيمشي فيها حمم بركانية، رجليه بقيت حوافر، ضوافره طولت قوي، عينه بقيت حمرة قوي، مولعة فيها النار! شعره طول، بقى لونه اسود عامل زي الشوك، طلع عروسة صغيرة، شبهي، غرس ضوافره فيها.

سكاكين انغرست في جسمي، غرس ديله في قلب العروسة، قلبي بيتقطع، انغرس فيه سهم مسموم، وقعت على الأرض، بعصر قلبي وقف من الألم.

فوبوس: انتِ سلمت لي روحك دي بإيدك، بقيتي بتاعتي يا حلوة.

شفته للحظة، شوقي، لابس كده ليه؟!

درع دهبي بيلمع، فيه حتت بيضة بتنور، واقف وراه، معاه سيف طويل، عاوزني المس السيف.

يلا يا فرحة المسيه، مش بتتحركي ليه؟! اتحركي يا رجليَّ، يا ايديَّ، ألم قلبي بيزيد وانتوا نايمين، اتحركوا! المسوا السيف، كل حاجة هتتحل.

مااتحركتش! ماقدرتش فضلت مكاني، مشلولة، كأني مربوطة بمية سلسلة حديد كلهم اتجمعوا حوالين رقبتي وقلبي، وقعت على الأرض.

فوبوس استخدم ديله كأنه سوط، ضربني على ضهري، بابا عنده حق، البنات عبيطة، عبدة! ماليش غير الجلد، الخدمة! اضربني كمان، عرفني مكاني الحقيقي، الأحلام كانت خدعة جميلة.

o●o

تجربة: الفصل الرابع

عدت الأيام، بقيت عبده، بس عبودية فوبوس صعبة قوي، بابا ارحم بكتير، استخدمني في حاجات كتير مش هاحكيها، سري اللي هاندفن بيه، جالي في يوم مبسوط قوي، بيقول لي عقدك قرب ينتهي.

عارفين ده معناه إيه؟! أخيرًا هاتحرر! هاخلص من العذاب، الضرب، الموت هو الحل، مش مهم اللي بعد الموت، المهم اخلص دلوقت، بس ماكنتش متخيلة انه اختار لي أبشع موتة.

تعبت قوي، باكح دم، باعمل قهوة صديقي الوحيد، آخر حاجة بتفكرني ببابا شوقي، أغمى عليَّ وقعت على الأرض بس شايفة اللي بيحصل ماعرفش ازاي، يمكن شفته بقلبي، شفت القهوة بتتحرق طلعت ريحة وحشه قوي، دخل بابا يشوف إيه اللي بيتحرق ده؟! بيشتم كالعادة، لقيني في الأرض، أول مرة يتخض عليَّ كده، هو انت بتحبني يا بابا؟!

مسح الدم من وشي، طلع بيَّ على المستشفى بسرعة، شالني زي الطفلة بين إيديه، مخضوض عليَّ! انت أبويا فعلا يا بابا، بتخاف عليَّ يعني؟! زف الدكتور الخبر لينا، بنتك عندها سرطان في الرئة.

إيه بابا مش مبسوط ليه؟! عشان الخدامة هتموت؟! ايوه كده بان على حقيقتك! الدكتور حدد لنا ميعاد العملية، رجعنا البيت، دخلت الأوضة من سكات عاوزه أنام مااصحاش، الحلم بيخلص! جاية لك يا ماما، هاقفل ودني للأبد خلاص! غريبة، بابا مازعقش! داخل ورايا الأوضة، حضنني؟!

بابا: ماتخافيش، هاعمل لك العملية، هتخفي.

يااه يا بابا، طلعت حنين! بتخاف عليَّ! لا أكيد مخبي الحزام وبيلعب بيَّ، بعدت عنه لما افتكرت الحزام، هربت لآخر السرير، اتغطيت.

بابا: مالك؟! خايفة مني ليه؟! مش هاضربك.

شال الغطا، حضنني تاني! حضن اتحرمت منه سنين، للدرجة دي حضنك دافي!

هو ده الأمان اللي دايما باقرأ عنه! متأخر سنين يا بابا.

فرحة: انت بتحبني؟!

بابا: إيه السؤال ده طبعا باحبك، فيه أب ما يحبش بنته؟! ماتزعليش مني لو ضربتك ولا اتعصبت عليكِ، بس أنا طبعي كده عصبي، أمك كانت عارفه! ياما استحملتني، بس أنا باحبك.

متأخر قوي يا بابا.

فرحة: مش عاوزة أموت.

آه مش عاوزة أموت، غيرت رأيي، إيه ماحدش بيغير رأيه فيكم، أنا لسه عارفه إن بابا بيحبني، فرصه أحقق حلمي! بابا هيساعدني.

بابا: ماتخافيش، هنعمل العملية، وهتخفي يا بنتي.

أنا بنتك! لو ماكنتش عبدتك فأنا لسه عبدة فوبوس! العقد قرب يخلص.

السرطان بينهش في صدري، كلب مسعور كل يوم ألم بيزيد مافيش مسكنات نافعة، باكح دم، بيغمي عليَّ، جالي فوبوس قال لي اكلم هاني، ضحية جديدة! كلمته فعلًا، حبيته، طيب وحنين قوي، شبه بابا شوقي، كان مكتئب! زعلان يا عيني، حبيبته القديمة زعلته قوي، متغاظ قوي، حاول كتير يطلع الغل اللي جواه ده، ماقدرش، طلع غله أخيرًا، غلبه، عليَّ! انا وافقت، أستاهل ضربه

عشان جسمي خانني! ماالمسش السيف، عاقبني أكتر، يمكن بابا شوقي يرجع لنا، ينقذنا.

○●○

هاني: انتِ في مستشفى إيه؟! أنا لازم آجي لك.

فرحة: لا بلاش، أنا حبيتك، مش عاوزاك تتعلق بيَّ وتتعب معايا.

احتار، ماذا يفعل؟! كيف ينقذها؟! سألها عن جراحتها، أخبرته أنها خرجت من الجراحة الأولي لكن هنالك أخرى لم تحدد موعدها بعد.

خائفة من مصيرها المحتوم، حاول التخفيف عنها، إرغامها على تحديد موعد سريعًا.

فرحة: مش عاوزة أموت! عاوزاك انت، ماعرفش ان الحياة حلوة كده.

فرت دموعه، تمني لو كسر كل الحواجز، لو كان بجانبها لطبع قبلة طويلة ليطمئنها.

أخبرته بعدم قدرتها على الحركة، الكلام، حتى النوم! لمَ لا تأخذ عقارًا منومًا؟! لم يعطوها سوى حبة واحدة فقط تاخذها كل صباح؟!

سألها عن أهلها، بالتأكيد موجودين ليواسوها صباحًا.

فرحة: مش عاوزاهم، هما السبب! زعقت فيهم الصبح، طلعتهم بره، أخدت الحباية ونمت.

نفس مشاكله، نفس همومه.

أرادت سعادته لكنها لا تسطيع، أخبرها أنه هو من يريد إسعادها.

فرحة: عاوز تبسطني نفذ طلبي، قولي على طريقة انتحر بيها تريحني.

صمت فترة، عجز عن الرد، لمَ فقدت الأمل؟!

فرحة: ارحم من الألم والموت البطيء ده! كده كده هاموت، ليه العذاب؟!

حاول تهدئتها، إقناعها بالعدول عن تلك الفكرة.

فرحة: أنا أصلا حاولت يا هاني، بس دايما بيلحقوني.

هرب من سؤالها، أراد تحديد موعد للعملية فقط، أفضل حل! أما الحياة وتنتهي مأساتها، أو...

ستخبر الطبيب، موعدها بعد يومين! نظر إلى كتبه المتراكمة، حزن.

هاني: معاد آخر امتحان ليَّ، وبعدها حفلة التخرج.

فرحة: كان نفسي أكون معاك في يوم زي ده.

هاني: كان نفسي أكون معاكِ في العملية.

أخبرته تريده بجانبها، ستخبره باسم المشفي! طلب طلبًا اخيرًا، تردد.

هاني: المسي السيف.

ظهر أمامها مرتديًا درعه، مستلًا سيفه، مستعدًا لمعركة متوقعة، يمد سيفه تجاهها، منتظرًا لمستها، حاولت تحريك يدها لكنها ثقيلة، بطيئة، تكاد لا تتحرك من بطئها.

ظهر فوبوس! تقدم نحوها، شيئاً خفياً منعه! قيود مضيئة كبلته، شد ذراعه، أمسك القيود، عضها، زمجر عاليًا، نمت أنيابه ككلب مسعور فقد السيطرة، شد القيود بأنيابه الحادة، قضمها.

تكسرت.

انقض تجاههما.

اصطدم وجهه بشيء دفعه للخلف، انقض مرة أخرى، اندفع للخلف مجددًا، انتشرت أمواجاً في الهواء، حاجز خفي من ضوء تكون حولهما، يحميهما، يمنعه من الاقتراب.

زمجر، لكم الحاجز، طعنه بذيله، نهشه بأنيابه، بحوافره، حاول تكسيره بكل الطرق.

مازالت تحاول الوصول للسيف.

تشقق الحاجز.

صراخ عاليًا، صوت هاني، صدر من تشققات الحاجز.

لم تصل للسيف بعد.

كبرت تشققات الحاجز، تفرعت كالشجرة.

ارتفع صوت الصرخات.

أخرج دميتها، أراد إبعاد يدها عن السيف بأي ثمن، أحاطها نفس الحاجز.

حاجز عرفه منذ قديم الأزل، لا يتجرأ على ذكر اسمه، حاجز الحب.

أعاد محاولاته لتحطيم الحاجز المشقق.

سقط جزء صغير منه، صنعت نافذة صغيرة.

دفع بذيله من خلال النافذة، سيقتلها، يقترب ذيله منها.

لمست السيف.

توهج، احترق بنيران زرقاء، اقترب رأس ذيله، توقف فجأة أمام عينيها تمامًا، سقط أرضاً،

قطعه شوقي.

وجه ضربة واحدة لرأسه، أطاحت به أرضًا.

تكلمت الرأس وحدها.

فوبوس: ربما كسبت الخادمة، لكن ليس هاني، هو لي.

اختفى، هرب.

شوقي: غبي، هاني وهو معك رجع لي فرحة، بنتي.

فرحة: بابا شوقي.

همس لها، أشار بإصبعه لترتاح.

شوقي: شششششش، شاطرة كسبتِ الحرب! كسبتِ روحك دلوقت تقدري ترتاحي للأبد، ومكانك جاهز.

o●o

قتله القلق، أهو قلق من اختباره أم مصيرها المحتوم؟! أخذ قرصًا مهدئًا أملًا في النوم، وضع رأسه على سفينته، وعد نفسه بشفاء فرحه.

وجد نفسه في غرفة الجراحة، لا يدري كيف أصبح هنا، يمسك مشرطاً، أمامه فتاه هزيلة يجري لها جراحة كبرى في الرئة، يستأصل سرطاناً! خفق قلبه، اضطربت دقاته كلاعب أولمبي في سباق عدو.

كشف وجه الفتاة.

فرحة.

تصبب عرقًا.

هاني: لا، لا، مش هاقدر اعمل العملية أنا.

الطبيب: مالك يا دكتور؟! انت بتساعدني بس.

نظر إلى جانبه، وجد أحد أساتذته مرتديًا زي الجراحة.

الطبيب: ده آخر امتحان ليك، انت مسؤول بنسبة كبيرة عن نجاح العملية.

ارتجفت يده، شعر بعجزه لأول مرة، أصابه نوع نادر من الشلل، شلل الفكر! نسي كل ما تعلمه! مرت ثوانٍ كأنها سنون، حدق في عينيها الجميلتين الساحرتين، صرخت طلبًا للنجدة، ثقل غريب بأطرافه الأربع، لا يستوعب كلمة واحدة مما قاله الطبيب.

الطبيب: هات المقص.

نادي الطبيب كثيرًا، لم يسمع! شاردًا في بحر عينيها، التفت له الطبيب.

الطبيب: هات المقص.

حدق في الأدوات، لا يعلم ما قصده بالمقص.

أمسك المساعد بأحد الأدوات، أعطاها للطبيب.

لا يدري ما يحدث حوله، في غيبوبة، صوت جهاز عرفه جيدًا، كرهه من كل قلبه، أراد تحطيمه، كمنبه قبيح يصرخ بك في صباح يوم جميل، جهاز مراقبة دقات القلب.

أفاقه الصوت، ينبه إلى بطء دقاتها.

نظر لشاشة المراقبة.

دقاتها تقل تدريجيًا.

عشرون.

عشرة.

سيستقيم الخط.

الطبيب: ابعد عن السرير، هبدأ DEFIBRILLATION.

أحضر الطبيب طرفي جهاز الإنعاش، شحنه.

الطبيب: واحد، اتنين، تلاتة، جاهز.

وضع طرفي الجهاز على صدرها، انتفضت.

يحدق في شاشة قلبها، يراقب الخط.

رجاه كي يتراقص على أنغام موسيقى صاحبته، كما اعتادت، على عزفها، أنغام أنفاسها المتقطعة، لكنه أبى.

الطبيب: واحد، اتنين، تلاتة، جاهز.

لمس صدرها، سرى في جسدها التيار.

هاني يحدق في رجفة جسدها، يتحقق من الشاشة، لابد أنه عاد يتراقص، لا، مازال صامتاً، جامدًا، كيف؟! يرى رجفتها في عينيه.

الطبيب: واحد، اتنين، تلاتة، جاهز.

ابت أنفاسها العودة، الخط رفض الرقص.

عرفها جيدا، ليست عنيدة قط، لما صارت بهذا العند.

لمعت فكرة برأسه.

هاني: يا دكتور، ما نجرب DEFIBRILLATION بس ب DIRECT ELECTRODE على القلب، يمكن يجيب نتيجة، كده كده القلب قدامنا.

الطبيب: فكره برضه، هات الجهاز بسرعة.

الأمل الأخير.

ركض في الطرقات كالمجنون، ستعود للحياة، سيرقص الخط مجددًا، لن يتركها.

وصل أخيرًا حاملًا الجهاز، الأمل! تعلقت روحها بيده كطفل صغير تعلق بيد والده، لا تقلقي يا صغيرتي، عاد الأمل.

الطبيب: واحد، اتنين، تلاتة، جاهز.

فرح لسماعه الجملة، ستستجيب، نعم، شعر بروحها تعود.

الطبيب: واحد، اتنين، تلاتة، جاهز.

ارقص أيها اللعين، عد للحياة، عد لي.

الطبيب: آخر مرة! واحد، اتنين، تلاتة، جاهز.

خفق قلبه، أعلن ثورته يحطم سجنه العظمي، ضاق به، المرة الأخيرة! الخط اللعين يأبي الحركة.

الطبيب: خلاص، سجل وقت الوفاة يا هاني، الساعة اتناشر وخمسة.

توقف الزمان، حدق في الشاشة اللعينة، أصابها عطل، يرى رجفتها، ستعود للحياة، أعلم، فقط أعلم.

اختفي كل شيء حوله! الطبيب، الغرفة، بقى فقط هاني، الشاشة اللعينة.

سقط، فقد وعيه.

○●○

يوم التخرج

استيقظ فزعًا، مجرد حلم، نظر للمرآة المواجهة لسفينته، لاحظ ذيله.

شعر بالغثيان، أكان مجرد حلم بشع؟!

ذهب لاختباره، لا يعلم كيف كان أداؤه!

الحفل مازال قائمًا، وجب عليه الحضور، كره حضورها خاصة أهله.

جلس في مقعده منتظرًا اسمه، تسلم شهادته وسط هتافات، تصفيق حاد.

"اعلن وقت وفاتها يا هاني".

تتردد في رأسه تلك الكلمات، نظر لساعته، الثانية عشرة ودقيقة.

تسلم شهادته، أراد الذهاب، يجب قول شيء للحضور.

نظر إلى ساعته، الثانية عشرة ودقيقتان!

اكتفى بشكر أساتذته، كهول حمقى، لم يعلموه! تعمدوا إيقاعه في الأخطاء، شكر أهله! لم يعرفوا سوى التهكم.

نظر إلى ساعته، الثانية عشرة وثلاث دقائق.

أراد أصدقاؤه تهنئته، يريدون كشفًا مجانيًا فقط! ذهب مسرعًا بطريقه، لا يعبأ بالصور الحمقاء، خرج من القاعة مسرعًا، اتجه للمشفى.

نظر لساعته، الثانية عشرة وأربع دقائق!

ركض، لا يهتم باصطدامه بالعربات، وصل، توقف قلبه.

نظر لساعته، الثانية عشرة وخمس دقائق!

تجمد مكانه، سمع صوتًا داخله، "مالحقتهاش".

استجمع قواه، دخل للمشفى، تقدم ببطء نحو الاستقبال.

هاني: لو سمحت، عاوز اسأل على حد محجوز هنا.

أخبره باسمها، أصر على معرفه الاسم ثلاثي، أخبره عن عمليتها، لكنه أصر على الاسم، أعطاه الكارنيه الخاص به.

العامل: أنا آسف يا دكتور، هاشوفها لك حالًا.

لحظات طويلة من الصمت، يحدق في الشاشة تجنبًا للنظر له لكنه لاحظه.

هاني: أنا دكتور، أكيد فاهم وهاعرف اتعامل مع الوضع.

العامل: آسف، العملية فشلت، تقرير الوفاة طلع الساعة اتناشر وخمسة.

نظر إلى ساعته، الثانية عشرة وعشر دقائق!

العامل: عملنا اللي نقدر عليه، مكتوب قدامي اتعمل لها نبضات كهربائية بكل أنواعها، حتى على القلب مباشرة، ماكنش في أي نتيجة.

هاني: تقصد DEFIBRILLATION ب ال DIRECT ELECTRODE على القلب.

العامل: بالظبط يا دكتور.

توقف الزمن، لا يدرى ما يدور حوله، ظهر شوقي بدرعه وسيفه، مستعدًا للمعركة.

شوقي: استني، دي مش غلطتك.

لم يسمع شيئًا، ظهر فوبوس.

فوبوس: بالطبع ليست غلطته، لكنها غلطتك أنت.

بدأ القتال، هاني لا يرى، لا يسمع، يتحرك كالمومياء.

تبدلت الأوجه حوله، منهم تحول إلى فوبوس! منهم تحول إلى شوقي.

الجميع يتقاتلون.

هاني متعب، لا يسمع، أغلق أذنيه.

لا يريد كل هذا، يريد الراحة، السلام، الحرية من تلك الصراعات.

غطي أذنيه بكفه، يمنع الصوت المرتفع.

الشجار مستمر، شوقي وفوبوس، صراع دموي، السيف، والذيل.

تبعه هتاف الناس، كلاً يشجع قائده، كلا الفريقين يطالبونه بقرار الآن، لمن سينضم في القتال.

أراد الابتعاد، السكينة، هرب، طارده الجمهور، يطالبه بتحديد هويته.

أين الصواب؟! من يخدعه؟! من الصادق؟!

ركض، أراد الهدوء، بعض الوقت للتفكير، ليس كثيرًا.

تبعه الجمهور، ركضوا خلفه، يريدوا القرار.

يتخبط في السيارات المارة بعبث، تدفعه يمينًا ويسارًا.

تذكر حلمه، حين هرب من الزحام، اصطدم بإحدى السيارات، تُرك وحيدًا ينزف في منتصف الطريق.

خاف.

هرب إلى أحد الأزقة.

تبعه الجميع، معركة حاسمة.

مرت حياته أمام عينيه، تذكر جميع من تركوه.

تذكر تعبه، قلبه أصبح ركامًا لا يصلح للاستخدام الآدمي.

شوقي السبب في جميع مآسيه، بل سبب وجوده.

اتخذ قراره.

o●o

تقدم تجاه المعركة ببطء.

أسرع.

ركض.

نظر بعينيه.

دفعه بكامل سرعته خارج الزقاق، أمام إحدى السيارات المسرعة.

تجمد الوقت، التقت أعينهم.

هاني: أنت السبب! بعدت فريدة، مني، نادين، دلوقتي فرحة، كفاية، هتاخد مني مين تاني؟!

أخبره ببراءته، طلب منه تصديقه.

هاني: أصدقك ليه؟! عشان أموت زيهم، فرحة صدقتك، لمست سيفك، وأنا اللي ساعدتك بإيديَّ دول، عملت لها إيه؟! سبتها للسرطان ينهش فيها، أنا خايف، خايف ابقى لوحدي طول عمري.

قرر الاستسلام لمخاوفه، كليًّا.

ازدادت قوة فوبوس! حاصد الأرواح، هنا تكمن قوته.

سدد ضربه بذيله تجاه شوقي، لقلبه، ما زال معلقًا في الهواء.

اضطرب هاني، خاف موته المحقق، تعاظم خوفه.

نمت عضلاته، قرونه، حوافره.

كفي خسارة، لا يريد أن يفقد شوقي أيضًا، السيارة مسرعة، تأبى التوقف.

تجمدت أطراف هاني كأنه محاط بالجليد بكل جهة، أراد مساعدة شوقي.

تحطم درع شوقي، اخترقه الذيل صدره بالقرب من قلبه.

توقفت أنفاس هاني، صغرت حدقتاه، سقط على ركبتيه.

ظهرت أجنحة شوقي للمرة الأولى، ناصعة البياض، مضيئًا بلون أزرق، متوهجًا كاللهب.

طار، تفادى السيارة، التقت أعينهم للمرة الأخيرة.

اختفيز

قفز فوبوس ليحتل جسد هاني.

○●○

صوت هاتف:

المتصل: دكتور هاني، دكتور عبد الهادي محتاجك، تعبان جدًّا وماحدش عارف عنده إيه، طلبك شخصيًّا.

أخبرهم أنه في طريقه إليه، أغلق هاتفه، ابتسم ابتسامة، تظهر للمرة الأولى على وجهه.

فوبوس: أتفكر بما أفكر فيه سيدي؟!

هاني: بالطبع.

فوبوس: مرحبًا بعودتك، سيدي.

هاني: من سيشتريه؟!

فوبوس: مني، تعرف هذا السوق جيدًا.

o●o

وصل مقر مستشفيات دكتور عبد الهادي الخاصة.

دكتور عبد الهادي: ألم هيموتني يا هاني، ماحدش عارف فيه إيه.

تغير صوته قليلًا.

هاني: وأنا اللي هاعرف يعني يا دكتور، ده أنا فاشل.

دكتور عبد الهادي: مين قال لك كده؟! انت اشطر واحد عندي يا د.هاني.

وقف بجانب رأسه، أمسك بها، حدق في عينيه.

هاني: دلوقتي بقيت أشطر واحد، وبتحترمنى وتقول لي دكتور كمان، مش كنت على طول تهزأني وتقول مش هتنفع؟!

تقطع صوته، ينوح حاله.

دكتور عبد الهادي: كنت خايف منك، هتقطع عيشي ومش هالاقي شغل.

أصبح صوته طبيعياً، الخوف، المحرك الرئيسي للبشر.

هاني: للدرجة دي جبان؟!

اتجه للنافذة، رجاه بصوت متقطع، كشف ضعفه.

تغير صوت هاني، أصبح أغلظ.

دكتور عبد الهادي: أنا مستعد اعمل أي حاجة.

أجابه ببرود، ينظر من النافذة، فوجيء دكتور عبد الهادي بطلبه.

عاد ليقف بجانب رأسه، محيطًا بها بيديه كلتيهما.

هاني: العقد جاهز أهو.

تحول صوته تماماً، صمت برهة، ضغط بيده على مكان الألم، صرخ.

دكتور عبد الهادي: خلاص، هامضي.

هاني: شاطر، برافو! انا اتخرجت النهاردة، دورك عشان تتخرج.

التف حول الفراش، تقدم إلى طاولة، وضع سائلًا غريبًا في حقنة.

دكتور عبد الهادي: تقصد إيه؟! هاني احنا اتفقنا.

ضحك لم يعد صوت هاني.

هاني: هي والدة حضرتك ماعلمتكش؟ ماتثقش في حد ماتعرفهوش.

اتسعت عينا الدكتور، ارتجف في مكانه، اختفي صوته، تقدم إليه ببطء.

هاني: ماتخافش! هتعيش بس في جسم تاني، كل عضو في جسم مختلف، احنا مضينا العقد وانا قد كلمتي.

غرس الحقنة في وريد جاحظ في عنقه.

o●o

شوقي: عيني عليك يا قلبي، ياللي في البحر مايل

وقفت زي الأسد، وسط فهود المغاير

ساد فيكم الهلع، في عالم ملوش معاير

هرب من وسطيكم الجدع، وفضل أبو بخت مايل

يا عالم كاره البشاير، وسط التراب حاير

تعبت كتير، لسه مافيش بشاير

بس مش هاسيبك، يا قلبي لازم أجيبك

o●o

شكر خاص

لأبي وأمي وعائلتي جميعًا.

لكل من علمني حرفًا ذات يوم، بالأخص د. ميخائيل وجيه، أ.مينا صفوت.

لأصدقائي جميعًا، بالأخص د.مادلين ثابت (تعبت معايا، بتقرأ كل صفحة بعد كتابتها).

ناردين واصف (صاحبة فكرة اني أبدأ الرواية أصلا، بتقرأ كل صفحة بعد كتابتها برضه).

ابرام فرج (ساعدني كتير في تعديل الرواية).

د.بولا وجيه.

الفؤاد
للنشر والتوزيع